صراط سوريون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2492) السنة التاسعة

الخميس (23) أيار 2012

8

سليمان الصائغ ودور المسيحيين في النهضة الفكرية في العراق

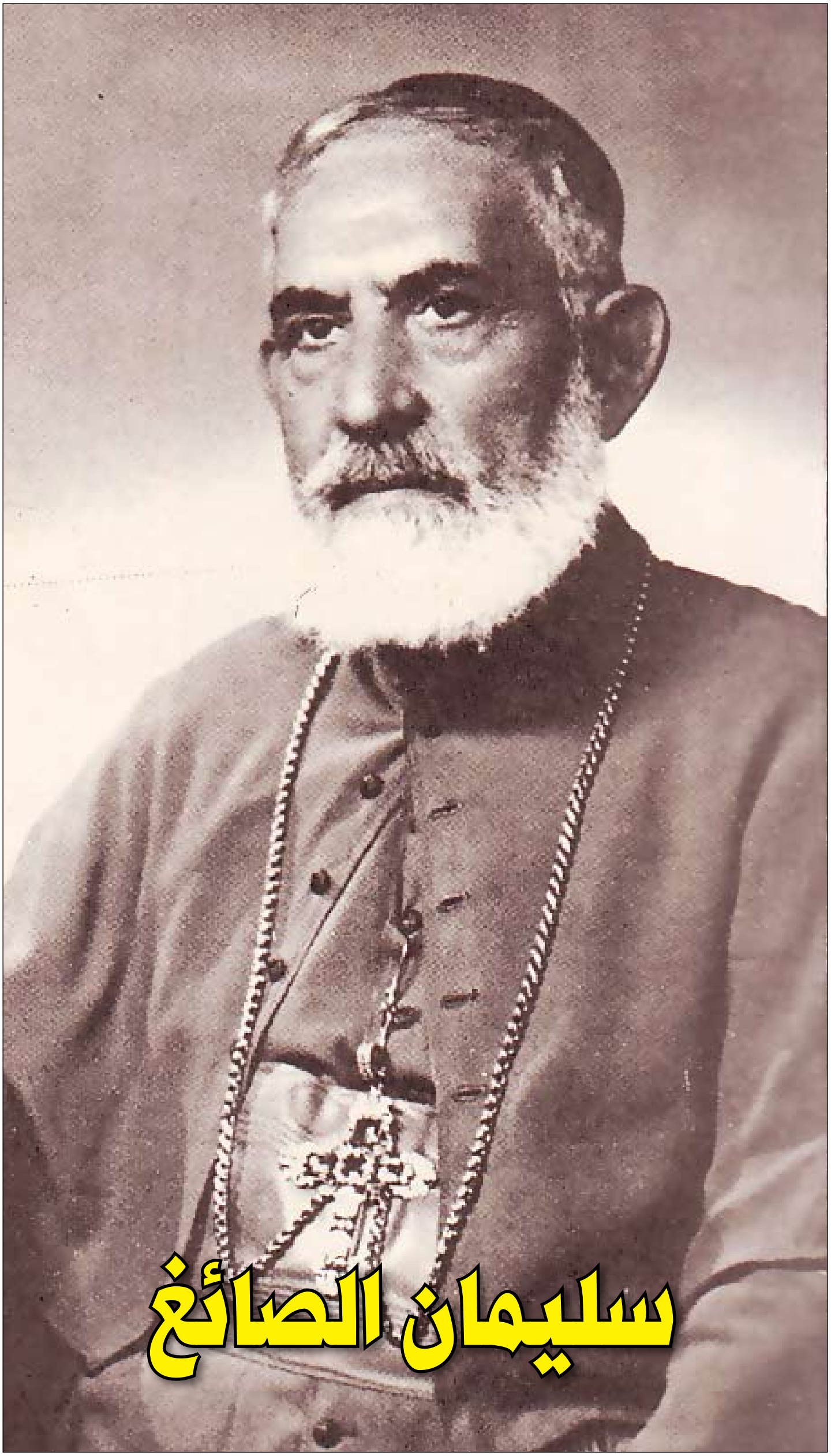

سليمان الصائغ

السيرة الذاتية للمطران سليمان الصائغ

المقدمة :

عثرت على هذه (السيرة الذاتية) بين اوراق المطران سليمان الصائغ (1886-1961) , وهي بخطه, بشكل مسودة على ورق تجاري اسمر مفكك. وقد دونها في 20 ايلول 1946,ولا اعلم المناسبة التي دعته الى كتابتها سوى انها – على حد علمي – ذكرى بلوغه الستين من عمره .ويظهر انه اعدها للنشر لانه يخاطب في اخرها القارئ . لكني لا اعتقد انها رأت النور بنصها هذا وقد اعاد الصائغ النظر فيها بعد سنوات (53-1953) فأضاف اليها بعض المعلومات التي استجدت او تلك التي فاته ذكرها عند كتابته المسودة لأول مرة.

عني بنشرها الاب د. بطرس حداد
اديب ومؤرخ راحل

القس سليمان الصائغ

وقد بقيت هذه السيرة على شكل مسودة او هكذا وصلتنا ولم يعد المؤلف النظر فيها ولم يدقق التواريخ التي ذكرها اذ فيها اخطاء عديدة في ذكر السنوات وقد اشرنا اليها في الهوامش.

نلقى اسلوب الصائغ الادبي منذ الاسطر الاولى من هذه السيرة بالاستهلال الذي نجده في معظم مقالاته كما نستشف بين السطور المأ دفينا في نفس الكاتب من (الوسط البخيس) الذي كان يعيش فيه . وتتسم هذه (السيرة) بالصراحة فقد قال الكاتب عن نفسه ماكان الناس يتهامسون به عليه . لاننا ادركنا الرجل وسمعنا بعض الناس من ذوي النيات السيئة يتقولون عليه باقاويل شبهها الرجل بأنها (عضات دموية) وكان الصائغ اخيراً صريحاً ومتواضعاً في كلامه عن درجة ذكائه فقال عن نفسه: لم يكن موهوباً ولا ذكياً بل كان اقل من المتوسط لكنه كان نشيطاً ومبتكراً

عمل الصائغ بهمة عالية لاتعرف الكلل طوال ايام حياته وكان عصامياً فنهل العلوم واغترف من الاداب فاختزن لنفسه زاداً علمياً وافراً ثم حاول بشتى الطرق منحه بسخاء الى الاخرين فهو المؤرخ والباحث وهو الواعظ الذي يشار اليه بالبنان وهو احد رواد كتابة الرواية الطويلة في العراق واعداد المسرحيات تليفاً وترجمة واخراجاً وهو بمطبعة صغيرة اصدر مجلة دامت ١٥ سنة ويرجع اليها الى اليوم وبواسطة الطبعة المذكورة نشر مطبوعات عديدة له ولغيره من ابناء ام الربيعين وبمجلته مهد الطريق لعدد كبير من الكتاب الناشئين

ويطيب لي ان اقدم نص هذه السيرة للنشر تخليداً لذكرى صاحبها الذي ادركناه واعجبنا به وخدمة للباحثين والله من وراء القصد

نص السيرة الذاتية للمطران الصائغ

الاستهلال:

ينزل المطر رذاذاً او مدراراً وتطل الشمس بنورها وحرارتها الحيويان يتعاقبان على الارض حتى ينبعث الميت من احشائها فتكتسي خضرة الاعشاب وترتدي من افياء شجرها زركشة وتنميقاً تلك هي الحياة

الحياة غابة تكتض وتتكاثف وتتعانق اشجارها وتتشابك اغصانها كلما تقدمت سنوها وتطاولت اعمارها حتى يحتجب وجه سمائها عن اراضها الحياة غابة متكاثفة تأوى اليها الطبيعة الضاربة والوداعة الكاسرة والصادحة النافعة والضارة والسعيد من تغلغل في اعماقها واكتشف سرائرها وبواطنها.

الطفولة:

نما سليم في ارض زكية بين ابوين متدينين تقيين ونشأ على مباديهما والف بيت الله منذ نعومة الاظفار واعتاد ان ينضم الى المحتشدين في بيت الله وينشد حمداً لله وشكر صبحة وعشية حتى دب في نفسه حياة الروح ومال الى خدمة الله وكان وهو في الحادية عشر والثانية عشر من عمره يقرأ سير النساك والمتوحدين ويتوق الى تلك الحياة القدسية في البراري والاديرة ويجد فيها سعادة كما كان يصورها له السيريون وهو في الثالثة عشرة كان خادماً للكنهة في الكنيسة ويواصل دروسه الابتدائية بنشاط ويعود مساءً فيأخذ صندوقه الصغير وفيه مسبحة الوردية وكتاب التأملات اليومية وبعض كتب السير الروحية وشي من الايقونات والصور التقوية فيعكف على الصلاة والتأمل حتى تغيب الشمس وينام باكراً ويستيقظ باكراً ليذهب الى الكنيسة قبل شروق الشمس

الكاهن:

صدق الامل ودخل المدرسة الكهنوتية لبطريركية الكلدان بالموصل وتلك كانت اقصى امانيه وسر بهذا الخط الذي اختاره برغبة شديدة وكان سروره عظيماً

لم يكن موهوباً ولا ذكياً بل كان اقل من المتوسط لكنه كان نشيطاً ومبتكراً في نشاطه وعانى صعوبات في الدرس لكنه ثابر باصرار واستقامة وطلب المزيد من الدرس وكان في اوقات فراغه يطلب علوما اوسع من المادة المعينة واحرز شيئا منها واشتغل بها في كهنوته واكتسب بها بعض الشهره في وسطه .

وكانت سنه ١٩٠٨ في شهر تموز اقتبل درجة الكهنوت وله من العمر اثنتان وعشرون سنة.

الرسالة :

وتعين مديراً لمدرسة ابتدائية في خورنة مار يوسف في القلعة فكان يومياً يقطع مسافة ربع ساعة مشياً صيفاً وشتاء اربع مرات في اليوم وقضى كذلك نحو ثلاث سنوات وكسب ثقة الرؤساء بادارته وحسن ارادته وفي نهاية هذه المهمة تبرم من معاهدة خوري الكنيسة فطلب نقله ونقل الى مدرسة شمعون الصفا الاعدادية وفي سنه ١٩١٤ تعين مديراً لهذه المدرسة فاحسن ادارتها وقصدها كبراء الموصل من مختلف الطوائف واشتهرت بالامتحانات التي كان يحضرها علماء من الاسلام وغيرهم حتى كانت الاولى في مدارس الموصل ونال ثقة الحكومة التركية فدعته عضواً في مجلس معارفها وعضوا في لجنة فحص الكتب الاجنبية ١٩١٦

انتهت الحرب الكبرى واحتل البريطانيين مدينة الموصل ودعي القس سليمان صائغ من قبل السلطة البريطانية ان ينشئ جريدة سياسية لسان حال الحكومة ففعل وكان يومئذ مديراً لجميع المدارس العائدة للطائفة الكلدانية داخلاً وخارجاً كما عرفته السلطة المحتلة وفي الوقت عينه يدير الجريدة الرسمية ويقوم بتحريرها بالرغم من صعوبات الوقت ومهمات خدمته الكهنوتية.

حملته رغبته في خدمة طائفته ان ينشئ عملاً يجمع اليه الشبيبة والوقت وقت عمل وجد والشعوب والطوائف تتجارى وتتسابق فانشأ بمساعدة فئة من الشبان نادياً سماه نادي الشبيبه الكلدانية وكان افتتاح هذا النادي افتتاحاص جذاباص حماسياً وتعاقبت الاجتماعات القانونية

وفي كل مرة يلقي محاضرة في احد المواضيع الادبية او الدينية

جرى هذا في فترة من الزمن الشاذ وكان شذوذه ان بعضاً يعدون على الاصابع ممن ادعوا الاصلاح في حواشي الرياسة وقد التفوا حول بعضهم وخرجوا بشي من الخروج. هذا كان وغبطته غائب و لاكثر من سنة عن المركز. وقد انتهز هولاء دعاة الاصلاح فرصة من غيابه وكان اغتياضهم من جملة دواعيه من الكاهن الشاب صائغ الذي كان يلازم الوكيل البطريركي، متمسكا في مبدئه لخدمة الرياسة والاطاعة لها . نظروا اليه والى اعماله نظرة شزرا وكان من سوء حظ هذا الكاهن الشاب انه دخل في خدمة سياسيه لادارة بريطانية احتالية متقلبة تقلب جو الربيع وتوصل بعض هولاء دعاة الاصلاح واعوانهم الى الطعن بهذا الكاهن الشاب طعناً اخلاقيا هدم جانبا من شخصيته . وفي ظروفه هذه القاسية زاره قائد فرنسي قادم لاستفتاء الاهالي في عائدية الموصل لبريطانيا ام لفرنسا وكانت لهذه الزيارة في ادارة المدرسة صبغة رسمية فظنها البريطانيون التي تبلغوها من جواسيس حقيقة ان البطريركية الكلدانية واعوانها موالية لفرنسا ووقع الكاهن الشاب تحت نقم السلطة المحتلة وكانت الفرصة ملائمة لاحراج موقف الوكيل البطريركي الذي كان معتمدا على الكاهن الشاب وتوجهت الى هذا الكاهن تهمتان مسنودتان من الرجال البريطانيين : الاولى تهمة سرقة من رواتب المعلمين التي كانت تسلم بيده وهو يقوم بتوزيعها وهذه ردها التحقيق القضائي لثبوت كذبها بموجب المستندات والثانية تهمة اخلاقية قبيحة وهذه لم تثبت بالتحقيق بل ظهر عكسها . الا ان اصرار السلطة المحتلة من قبل بعض رجالها المندفعين بغرض سياسي وعجز رجال الكنيسة وخورهم امام هذه القوة لم تعلن براءة الكاهن الشاب واقتضى ان يبتعد الى خارج العراق برضاه لكن السلطة فرضت ارادتها بنفيه الى الدير بجانب القوش حيث قضى سنه ونيفا احتمل الكاهن الشاب عذابا اليماً ولكن عزائمه في العمل لم تمت بل لبثت حية نشيطة فعمد الى الخدمة في ذاك العالم الرهباني وشكل مدرسة من الرهبان وقام هو بالقاء دروسها وزيادة على ذلك انشغل في مطالعة مجلدات الكتب التاريخية العربية فوضع تاريخ الموصل ونجح به نجاحاً باهراً فما اتم مدته في الدير حتى كان قد اتم هذا الكتاب التاريخي الاول في بابه .

ولما عاد الى الموصل لقي حسن التفات عظيم من عموم الاهالي وكانت الحكومة العراقية قد تشكلت وملكها فيصل الاول يصرف الجهود ويقرع الابواب لانقاذ الموصل من مطامع الحكومة التركية التي كانت تطالب بها في العصبة الاممية، وجاء التاريخ الذي الفه القس سليمان صائغ جوابا لصدى الغرض الذي كان العاق يطلبه فان فيصلا طلب تاريخيا يثبت عروبة الموصل ووجد هذا التاريخ عند هذا الكاهن المنفى بجراح قتالة فطلبه الى بغداد وتلطف به واكرمه كل الاكرام ووقف على الكتاب وقال لمؤلفه (اني افتخر بمثلك في بلادي) وامر بطبع الكتاب على نفقته الخاصة ونقلت الجرائد هذا الخبر وتم طبع الكتاب الذي اعجاب ورضاء الوسط العلمي العربي.

اقام القس سليمان الصائغ في الموصل ولج الحركة العربية الوطنية يقوم بها الاسلام فدعي للاشتراك وهو نفسه اشترك بها ونال عليها تقدير الاهلين كي لايبقى المسيحيون في حياد ملوم. ومن ثم عكف على الحاق تاريخ الموصل بجزء ثان ففرغ منه بسنه واحدة وهو يلاحق الصحف وينشر فيها مقالاته الواحدة بعد الاخرى بامضاء مستعار ولكن اصحاب المصلحة كانوا عارفين بها ومصفقين لها.

اكتسب ثقة اولياء الامور وكان لما قدمت لجنة عصبة الامم الى الموصل لاستفتاء الاهالي بعائدية مدينتهم وتشكلت جمعية الدفاع الوطني دعي القس سليمان الصائغ ليحتل

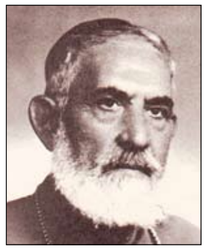

في ظروفه هذه القاسية زاره قائد فرنسي قادم لاستفتاء الاهالي في عائدية الموصل لبريطانيا ام لفرنسا وكانت لهذه الزيارة في ادارة المدرسة صبغة رسمية فظنها البريطانيون التي تبلغوها من جواسيس حقيقة ان البطريركية الكلدانية واعوانها موالية لفرنسا ووقع الكاهن الشاب تحت نقم السلطة المحتلة وكانت الفرصة ملائمة لاحراج موقف الوكيل البطريركي الذي كان معتمدا على الكاهن الشاب

عضوية لجنة التحرير الدفاعي في هذه الجمعية فاشتغل وانتج قسماً من التقرير الدفاعي الذي قدم لهذه اللجنة الاممية ولبث موضوع ثقة ودعي مراراً ليساهم في الاعمال فعين عضوا في المجلس الاستشاري لمعارف منطقة الموصل ودعي ان يكون عضواً في لجنة اسعاف الفقير المتشكلة في البلدية ايام كارثة حرب الصاعقة واخرى عضواص في لجنة مكتبة غازي بالموصل واخرى عضوا عاملاص من قبل وزارة المعارف في لجنة تاليف تاريخ العراق المشمولة برعاية الوصي على عرش العراق وانتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي ١٩٤٩.

نشاطات مختلفة

ولما كانت سنة ١٩٢٩ انشأ مجلة النجم البطريركية وقام بتحريرها وادارتها وعالج مواضيع علمية واجتماعية وافلحت هذه المجلة واكتسبت شهرة ذائعة وتواصل صدورها عشر سنوات حتى كانت سنة ١٩٤٠ وقد حلت كارثة حرب الصاعقة وشح المال وقل الورق فاضطر الى توقيف صدورها.

وبينما كان يحرر هذه المجلة كان يشتغل في تأليف الكتاب الروائي التاريخي في نشؤ المسيحية في العراق المعروف ب (يزداندوخت) او الاميرة الاربيلية وفرغ من وضعه وطبعه في جزئين ١٩٣٤ ونال هذا الكتاب قبولاً عظيماً وانتشر انتشاراً حسنا

وفي الوقت عينه كان ينقل الى العربية بحثا في الكنيسة الكلدانية لنيافة الكردينال (تيسران) نشرته الانسكلوبيديا اللاهوتية ويعلق عليها الحواشي وتم طبعه سنة ١٩٣٩ دعاه (خلاصة تاريخ الكنيسة الكلدانية) بنحو مايقارب ٣٠٠ صفحة.

وفي هذا كله كان يعنى بخدمة النفوس والقاء المواعظ والرياضيات ولم يمتنع مرة من هذه الخدمة المقدسة وقد نال ثقة الجمهور ورغبتهم في سماعه.

وقد تحدث مراراً عن لزوم انشاء الجمعيات الخيرية الكلدانية سنه ١٩٤٥ فنشأت متينة ثابته وسعت للفقراء ونجحت ايما نجاح رغماً عن العثرات الجمة التي اعتورتها ولاتستغرب هذه العثرات لعمل خيري مثل هذا فان الوسط الذي نحيا فيه هو وسط شاذ وشذوذه من اغرب الغرائب ولا نزيد على هذه الكلمة.

وفي هذه السنه عينها تحدث الى طائفة من الشبان النابهين بلزوم انشاء نادي ثقافي مسيحي فاقبل الكثير منهم على تأييد هذا المشروع وعلى تحقيقه بالعمل، فعقدوا اجتماعات كثيرة ووضعوا الخطة والمنهاج وقدموا طلبا الى الحكومة في احد ايام شباط ١٩٤٦ والى حين تسطير هذه الصحيفة لم تعط الرخصة بفتحه ولا يغرب عن فكر القارئ ان شذوذ الوسط البخيس لعب دوره في هذا ايضاً وكدر صفو الماء وخلوص النيات بوشيات معيبة الى اولياء الامور ولكن الله ينظر من وراء اعمالنا الى النيات

كان القس سليمان صائغ قد رقي الى رتبة الخورنة وسمي زائرا بطريركيا وصار يدعى الخوري سليمان صائغ منذ سنة ١٩٤٠

الخاتمة:

هل تسالم الايام ليقال ابن الايام كل حسن، وابن الانسان يقول: " الويل لمن يقول فيه حسناً" فلا يظن قارئ السطور ان الخوري سليمان صائغ فيما تقدم عنه من نية حسنة كان سالماً من عضات دموية، فان الزمان قلب له مراراً ظهر المجن، وشزرته العيون، وسلقته الالسن، وقيل عنه مايكمن ان يقال عن المسالين. فقد ثارت عليه ثورة صامتة، وهاجت عليه في طريق عمله ذات كلب وصرخت وعربدت وتركت في يديه ورجليه عضات اليمة. الا ان ثبات (٧) الكاهن شد من عزمه على المضي، حتى هدأت الزوبعة الصامتة، وتبين لذي العين الخبط الابيض من الخبط الاسود.

الى هنا تقف الحوادث الموجزة، ونحن في يوم الجمعة ٢٠ من شهر ايلول ١٩٤٦ ، وهذه السطور موضوعة تحت حماية العذراء التي يطلب منها ان تمده كما مدته بمعونتها الوالدية التي يشعر بها شعوراً محسوساً ليواصل خدمته حتى الموت تحت كنف عنايتها الوالدية ومشورتها الثمينة بحيث انها لا تتركه من يديها، بل تقوده الى حيث تريده ارادة ابنها الالهي.وصرفه على انشاءات خيرية، ومن هذه الروايات التي اكتسبت شهرة هي رواية الزباء، وبعدها الامير الحمداني لاسعاف مشروع بناية مدرسة شمعون الصفا للبنين. ورواية مشاهد الفضيلة، ورواية هوراس لكورنيل التي نقلها مديرها المسؤول. والف رواية يمامة نينوى وخصص ريعها لاستئناف تصدير مجلة (النجم) التي كانت الاواسط تطالب بها، فصدرت بتشرين الاول سنة ١٩٥١ .

وقام بطبع كتاب طقس القداس الكلداني على نفقته سنة ١٩٤٠ .

وقام ايضا بطبع كتاب قدام ودثابر الطقسي على نفقته سنة ١٩٤٧ .

وطبع قداس بالكلدانية مع ترجمته العربية، واضاف اليه الصلوات تقوية مختلفة لاستعمال المؤمنين سنة ١٩٦٣ ايضاً على نفقته واسماه "الابتهالات القدسية".

واعاد مراراً طبع كتاب" رفيق المسيحي" وهو مجموعة من صلوات وعبادات وممارسات تقوية على نفقته.

وفي سنة ١٩٥٢-١٩٥٣ اعاد طبع "يزداندوخت" النافدة طبعتها الاولى.

(انتهى النص بخط صاحب السيرة)

مدرسة شمعون الصفا في الموصل وقد جلس الصائغ في الوسط

مجلة بين النهرين عام 2000

المطران الصائغ 1886 - 1961 وجهوده في توثيق تاريخ الموصل

الجمعية الخيرية الكلدانية الصف الاول من اليمين : مجيد خلف، ناصر عوع، القس سليمان الصائغ، ميخائيل حداد، بطرس آدمو . الصف الثاني : الياس برنوطي، رؤوف حداد

د. ابراهيم العلاف

لم تشهد الموصل منذ أن فرخ المؤرخان العمريان محمد أمين وياسين من كتابة مؤلفاتهما أواخر القرن التاسع عشر من اهتم بتدوين أخبارها حتى مطلع القرن العشرين، حين ظهر سليمان صائغ واصدر كتابه الشهير:(تاريخ الموصل) في ثلاثة أجزاء. وسليمان صائغ رجل دين مسيحي ولد في الموصل سنة ١٨٨٦ وأتم دراسته اللاهوتية في مدارسها الدينية ثم اشتغل بالتعليم وإدارة المدارس، وصار عضوا في لجنة فحص المدارس الأجنبية، وترأس تحرير جريدة الموصل بعد معاودة صدورها عقب الاحتلال البريطاني للموصل سنة ١٩١٨ ، وعندما برزت مشكلة الموصل(١٩٢٥-١٩٢٦) كان عضوا نشيطا في(جمعية الدفاع الوطني) التي قامت بدور كبير في تأكيد عروبة الموصل إزاء مطالبة الأتراك بها .

أصدر سليمان صائغ مجلة (النجم) وهي مجلة شهرية ،دينية ،تاريخية، اجتماعية وذلك سنة ١٩٢٨. وقد اهتمت المجلة منذ صدورها وحتى توقفها في آذار-مارس ١٩٥٥ بالدراسات الدينية والتاريخية.ويرجع ذلك إلى أن صائغ، كان يرى أن "التاريخ من العلوم الجليلة الفائدة، ومن الفنون الجزيلة العائدة لطبقات الهيئة الاجتماعية جمعاء، ومن علماء أعلام، وسوقة طغام". وقد اعتمد صائغ في تأليف كتابه : تاريخ الموصل، مصادر عديدة، بعضها منشور وبعضها مخطوط، وكما وقف على كمية جيدة من الأوراق الخاصة المحفوظة في بعض مكتبات الأسر الموصلية، كالأسرة الجليلية والأسرة العمرية، ويتناول الجزء الأول ، التاريخ السياسي. أما الجزء الثاني فقد كرسه لدراسة الحركة الأدبية والعلمية في الموصل. وخصص الجزء الثالث لنفائس الآثار وتاريخ التنقيبات .

لقد ترك سليمان صائغ مجموعة كبيرة من المقالات وخاصة في مجلة النجم، ومن مقالاته : الفلسفة عند العرب، وتاريخ الطب في العراق، والبلاد العربية في مطلع القرن السابع عشر وتاريخ أكد وأشور.

إن سليمان صائغ يعد من أوائل المثقفين العرب الذين نبهوا إلى مخاطر الصهيونية، وقد ربط من خلال دراسة له نشرت سنة ١٩٣٣ بين مخاطر الصهيونية والشيوعية والماسونية على الفكر والوجود العربيين.

وسليمان صائغ يعد من الكتاب الرواد للمسرحية التاريخية في العراق، وقد حاول تقديم التاريخ بأسلوب قصصي، ولكنه ظل ملتزما بتصوير الواقع ، مما جعل مسرحياته تخرج من بين يديه وكأنها سرد تاريخي للأحداث والوقائع.

والسبب في ذلك يرجع إلى انه أراد من وراء مسرحياته تحقيق أمرين اولهما الغرض الديني والحرص على نشر فكرة الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي .وثانيهما جذب القارئ إلى التاريخ وتقديم الحقائق اليه بأسلوب بسيط خال من التعقيد، وقد جاءت كتاباته شبيهة بكتابات الكاتب المصري جرجي زيدان (١٨٦١ــ١٩١٤) ،وخاصة رواياته التاريخية التي استهدف من وراءها العمل على إحياء وعي العرب لماضيهم، وقد بدا صائغ في أكثر أعماله، مؤرخا يهتم بالحقائق من جهة، ويحرص على تأكيد مبدأ العبرة واستخلاص الدروس من الماضي من جهة أخرى.

ويبين صائغ أسباب اهتمامه بتاريخ مدينته الموصل فيقول: ((وعلى هذا نجد اليوم تواريخ مسطرة لكل مدينة، اشتهرت بأثارها، وأخبار دولها ومشاهير رجالها. إلا أننا- لسوء الحظ -لم نجد للموصل الخضراء تاريخا خاصا بها يوقفنا على قدميتها، وينطوي على أخبارها... على الرغم من أن الاقدمين من فحول علماء الموصل، عنوا بتدوين تاريخها واستيعاب الطارف والتالد من أخبارها)).

ويضيف صائغ إلى ذلك أن رغبته في خدمة أبناء وطنه" من العامة الذين لايستطيعون مطالعة مجلدات ضخمة للوقوف على أحوال الموصل"، هي التي دفعته لكتابه تاريخ لام الربيعين "فسمت التصنيف- وأنا المفلس- وتعنيت أمرا ليس من شأني ولا إنا من رجاله، رجاء نفع العامة ونيل رضى الخاصة، والمرء ... ممدوح أو مقدوح بنيته إذ إنما الأعمال بالنيات ، وما قصدي من هذا العمل إلا امحاض الخدمة لوطني". ويوضح منهجه في التأليف فيقول انه بعد مثابرة متواصلة على المطالعة مدة سنة ونيف " توفقت بعونه تعالى إلى وضع ها الكتاب، وقد سعيت جهدي في إحكام الرصيف ونقل الحقايق التاريخية المحصحة من مواردها ومأخذها معتمدا على اشهر المؤرخين الذين هم النبراس المهتدي والعمدة المنتدب اليهم كالطبري وابن الاثير وأبي الفداء وابن خلكان وشهاب الدين ألمقدسي وغيرهم من المؤرخين الحداث، وطنين وغرباء هذا عدا ماتلقيته من أقوال مأثورة ونقلته من أوراق خطية قديمة".ثم قسمت الكتاب أبوابا وفصلته فصولا ... " وشكر المؤلف من شجعه وأعانه وزوده بالكتب والمعلومات وخص بالذكر نقيب الأشراف في الموصل السيد عبد الغني النقيب والحاج أمين ألجليلي والسيد عبد الله ال سليمان بك والسيد امجد ألعمري .

إن إعادة نشر كتاب تاريخ الموصل ،بأجزائه الثلاثة ،يعد إضافة نوعية في مجال توسيع دائرة الاهتمام بهذا الضرب من التاريخ المحلي، لأهمية ذلك في مرحلتنا الحاضرة التي تتطلب من جميعا أن نتعاون من اجل إبراز وجه الموصل الحقيقي والناصع، وإسهامات أهلها الحضارية عبر التاريخ، فبارك الله بكل من سعى في هذا المشروع الخير ،والذي جاء استجابة لما أراده الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال : "من نشر علما كالله الله بأكاليل الغار .. ومن كتم علما ألجمه الله بلجام من نار".

يتفق اغلب نقاد ومنظرو القصة القصيرة في العراق على ان فجر القصة العراقية بزغ في العقد الثاني من القرن العشرين، وان القاص محمود احمد السيد هو اول من كتب القصة القصيرة في العراق وبمواكبة حثيثة ودؤوبة من قبل سليمان فيض الموصلي وعطا امين ويوسف متي، ومن ثم سارت القصة العشرينية بين مقومات القصة الكلاسيكية الغربية والموروث الفقير للمقامة المقالة،

سليمان الصائغ و القصة العراقية

هيثم بردي

وكان اغلب المؤسسين للقصة متاثرين بالقص المترجم لإجادتهم أكثر من لغة، ثم جاءت فترة الثلاثينيات والاربعينيات التي تميزت بالواقعية التصويرية الناقلة للحيوات والتفاصيل عبر تقرير يتميز بالفجاجة والتسطيح المزخرف كفيسفساء لا معنى لها، بيد ان هذه الفترة تميزت بنقل القصة من ارض خيالية بعيدة عن الواقع إلى مزج القصة بالواقع المعاش وبوصف تصويرية تفصيلي مباشر وتألق في هذه الفترة القصاصون (ذو النون ايوب. جعفر الخليلي. انور شاوول .عبد المجيد لطفي. شاكر خصباك) . ارتدت القصة العراقية ثوبها المتقدم المعروف بالواقعية الاشتراكية الانتقادية على يد (فؤاد التكرلي. نزار عباس. غانم الدباغ. عبد الله نيازي. ادمون صبري. مهدي عيسى الصقر. غائب طعمة فرمان) وكانت الخمسينيات بحق حقبةو ازدهار وتطور القصة العراقية وتميزها وانتشارها على مساحة الوطن العربي وريادة القصة العراقية بتيار الوصف التحليلي المعتمد على المنلوج والحوار والوصف الداخلي لاغوار النفس الانسانية على يد القصاص المبدع عبد الملك نوري في مجموعته القصصية (نشيد الارض) التي صدرت عام ١٩٥٤ .

وجاءت الانتقالة المعاكسة والمتالقة المعاكسة والمتالقة في فترة الستينيات والعالم كله يغرق حينذاك في ادب ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث التساؤل الذي روجه عراب ومبتكر ادب الوجود جان بول سارتر وزملاؤه سيمون دي بوفوار والبير كامو وصموئيل بيكيت ، فانتشرت هذه المدرسة بفضل ترجمات دار الاداب للمدرسة الوجودية، فانتشر الادب الوجودي إبان الستينيات وهي فترة تميزت بصراع الإنسان مع ذاته ومع العالم الخارجي، فاختبأ القاص الستيني خلف رموزه واحجياته وتغلب الشكل على المضمون وطغى الادب الوجودي بكل ضياعه وعتبه وتساؤلاته في كتابات (سركون بولس . جليل القيسي. محمد خضير. فهد الاسدي .عبد الرحمن الربيعي. عبد الستار ناصر . محمود جنداري . احمد خلف. يوسف الحيدري وغيرهم) وقيض لهذا الجيل ان ينوء بحمل كبير ويتواصل عبر عقود ثلاثة فمنهم من رحل عن عالمنا، ومنهم من توقف عن الكتابة، بينما واصل الاخرون الكتابة وبتجدد مطورين من ادواتهم ليكونوا علامات في القصة العراقية القصيرة المعاصرة

وانا اقرأ هذه الكوكبة المتالقة في سماء القصة العراقية، فمن منا لا ينتابه الإحساس بالفخر وهو يقرأ هذه الاسماء (يوسف متي القاص الرائد الذي نقل القصة العراقية في ثلاثينيات القرن المنصرم من المقالة إلى القصة الفنية الناجحة وخاصة في قصته .حطام ، التي قال عنها الناقد الدكتور عبد الاله احمد: " فقد نجح في تقديم قصة قصيرة، تعتبر من اجمل القصص في الادب العراقي الحديث في هذه الفترة واجودها ويعني بالفترة زمن نشر القصة حيث نشرت في مجلة عطارد / العدد ١/ السنة الاولى / آب ١٩٣٤ / ص ٩). وقد نشر اضافة إلى قصته تلك قصصا اخرى بوأته كأحد الطليعيين الذين اضافوا لهذا الفن الكثير من الفن الراقي والحس الانساني مثل قصص عاطفة جامحة .سخرية الموت. ضحية العهد. في القرية . الرسالة... الخ، ولاهمية هذا القاص المجدد اقدم الناقد سليم السامرائي على جمع قصصه ونشرها في كتاب في سبعينيات القرن الماضي وفي المشهد القصصي العراقي اسم كان لهم حضوره البارز في عقد الخمسينيات عبر القصص والروايات والمسرحيات العديدة التي نشرها واصدرها عبر عقدين من الزمان الا وهو ادمون صبري الذي يعد من ابرز من صور الواقع حد النقل الصوري، اما سركون بولس القاص والشاعر والفنان الستيني المتجدد فقد طرح نفسه في الميدان كاحد المؤسسين للتيار الستيني المتطور والتقدم في القصة العراقية فالحديث عن تجربته في كتابة القصة القصيرة قد تحتاج إلى وقفة متأملة متعمقة لعمق تجربته وثراءها عبر قصصه القصيرة القليلة التي نشرها.

ثم جاءت مرحلة السبعينيات التي افرزت اسماء حفرت لنفسها جداول تسعى لكي تصب في نهر القصة العراقية فقد ظهر في الصورة قصاصون رفدوا الساحة نتاجاتهم ولا زالوا مثل : سعيد شامايا . بنيامين حداد. هيثم بردي. يونان هوزايا . عادل دنو . روبن بيث شموئيل ... وغيرهم.

الاصدارات القصصية للسريان منذ بواكير القصة العراقية وحتى الان: على امتداد عمر القصة العراقية من بواكير القصة العراقية مطلع القرن الماضي ولغاية كتابة هذه السطور كان للقصاصين السريان اصداراتهم القصصية التي نجملها وفق الجدول التالي:

اسم المجموعة القصصية	اسم القاص	سنة الاصدار
١.صيحات الفؤاد / قصص	فؤاد بطي	١٩٣٩ .بغداد
٢. العدالة / قصص	ميخائيل الياس غالي	١٩٣٨ .بغداد
٣.ضحايا الامال / قصص	يوسف حنائي اسحق و جورجي عيسى قلاب	١٩٢٨. بغداد (مرجج)
٤.الضعفاء	يوسف هرمز (مرجج)	١٩٢٧ .البصرة
٥.يزداندوخت / رواية	سليمان الصائغ	١٩٣٤ الطليعة الاولى ١٩٥٣ الطليعة الثانية
٦.حصاد الدموع	ادمون صبري	١٩٥٢
٧.المأمور العجوز	ادمون صبري	١٩٥٣
٨.قافلة الاحياء	ادمون صبري	١٩٥٤

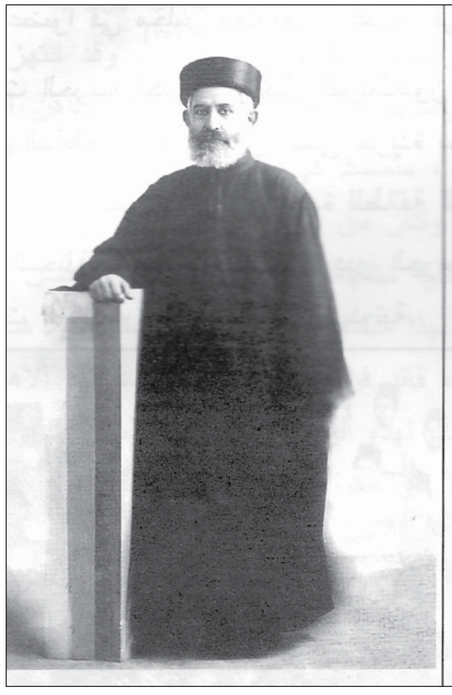

الصائغ مطرانا

الصائغ تلميذا

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2492)
السنة التاسعة
الخميس (23)
أيار 2012

نقدان نادران لتاريخ الموصل للصائغ سنة 1924

توفيق السمعان
باحث ومؤرخ

مدرسة الكلدان الاهلية في الموصل سنة ١٩١١ ويظهر الصائغ بجانب اخيه نعوم الصائغ

ظهر على الساحة المعرفية كتاب ألفه المطران (سليمان صايغ) وهو غني عن التعريف، والكتاب هو (تاريخ الموصل) بأجزاء ثلاثة، وبفترات متفاوتة من سنوات الطباعة، حيث أصدر الجزء الأول عام ١٩٢٣ فتولى نقده مجموعة من الأدباء، تجد في ثناياه نقداً لاذعاً سلبياً، رأيت فيما قرأت وستقرأون إن شاء الله تعالى (من باب التبرير والبرهان المنصف) أن الناقدين قد وقع الجزء الأول بين أيديهم لأن ما كتبوه ونقدوه كان في نهاية عام ١٩٢٤ ولم يروا الجزء الثاني الذي أصدره المؤلف في حياته ايضاً والذي أجاب عن تساؤلاتهم ونقداتهم، وإني أنقل اليكم أيها الباحثون الأفاضل وبما رواه لي المرحوم المؤرخ (سعيد الديوه جي) أن الجزء الثاني والثالث فيهما لمسات واضحة من توجيهات المرحوم المؤرخ الأديب (اسماعيل حقي فرج المتوفى سنة ١٩٤٨)، وعلى كل حال أن في كل سفر يخرج الى النور لا بد أنه يضم معلومات قد يجهلها العديد من (الباحثين) ولأن العجز والنقص والاحتياج أبرز صفة يتسم بها البشر فضلاً عن الباحثين. فالانصاف والانصاف لمن كتب وقضى على وجه الخصوص. فاليكم نقد كتاب (تاريخ الموصل للقس الصائغ) من السيدين شكري الفضلي، وتوفيق السمعاني أنقلها لكم بكل أمانة:

تاريخ الموصل (شكري الفضلي):

انا نشكر لحضرة الفاضل القس سليمان الصائغ تأليفه (تأريخ الموصل) الذي عرضه على قراء هذا الجيل الناهض. ولما كنا نعتقد بان المؤلف ممن يقدرون قول القائل- من ألّف فقد استهدف- ويصغون الى كلمة الحق نقول، الظاهر ان المؤلف قد حذا في (تأريخ الموصل) حذو التأريخ الوارد في احصائيات الموصل التركية- سالنامة- لان ترتيب الأثرين يشابه احدهما الأخر غير أن المؤلف قد وسع بعض الفصول اكثر من تأريخ الاحصائيات المذكورة وأبقى بعضها على ما كان عليه ولاسيما المتعلق بدولة الترك العثمانيين. ولا يخفى ان تلك الاحصائيات لم تذكر بحسب مسلكها الا من اشتهر من ولاة الموصل وقد اجملت وتركت التفصيل لكتاب التأريخ ولما كانت الدولة العثمانية (منهل الأولياء) وغيره من المؤرخين الذين يمحون همة رجال التأريخ بالخرافات ولا يسارع كبعض مؤرخي العراق اليوم في تأليفه الذي اصبحت طفراته في هذا الباب وغيره عقبة كؤدا في سبيل من يريد معرفة تأريخ الموصل كما يلزم. بغداد شكري الفضلي

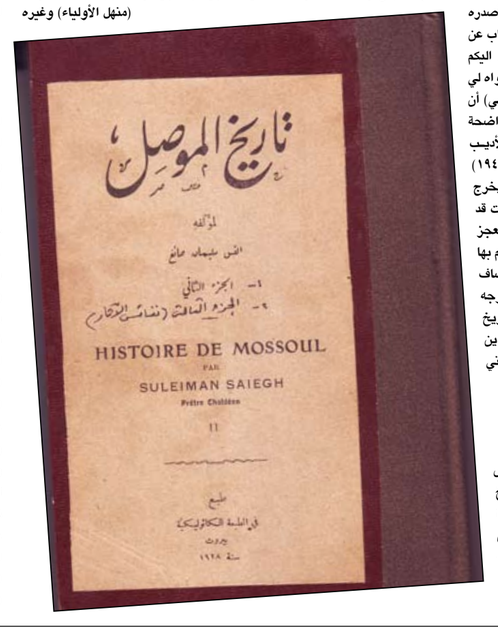

تاريخ الموصل (لتوفيق السمعاني):

اصبح من المقرر ان المؤرخ في هذا العصر لا يكتفي بسرد الوقائع على علاتها دون النظر الى غثها وسمينها. واصبح من المقرر ايضاً ان التاريخ الذي لا يفضي اليك بحياة الانسانية على اختلاف مظاهرها ومشاهدها وعللها واسبابها ونتائجها لا تغنيك فتيلاً ولا يجديك نفعاً فهو أقرب الى الاحصاءات منه الى التاريخ وأدنى الى السجلات منه الى التاريخ.

وقد كان المورخ فيما سبق من الزمن يعمد الى تلبيس الوقائع والحوادث الثوب الذي يريده لها، وينسقها الواحدة تلو الاخرى مشيراً الى زمن حدوثها ووقت حصولها . ثم يختمها ويقول للناس: هاكم تاريخاً يعرض عليكم حياة الانسانية السالفة.

والقسم الكبير من التاريخ العربي لا يصح في رأيي ان يكون تاريخاً حقاً تستمرئه النفوس وتطل منه على احوال الانسانية الغابرة. فهو لايتعدى الوقائع الحربية، والحوادث المغالي فيها. وانك اذا قرأت فصلا من فصوله مثلاً عن رجل عظيم تعرف اسم ابيه وأمه ويوم ميلاده وفاته والمكان الذي نشأ به والبقعة التي قبر فيها ولكنك لا تعرفه رجلا عظيما. ولا تعرف علاقة ذلك الرجل بالحياة ولا تعرف علاقة الحياة بذلك الرجل. ولا تعرف حالة البيئة التي تربى فيها ولا حالة النفوس التي أثرت فيه ولا مقياس منزلته في الحياة وبين ابناء الحياة. كل ذلك لا تعرف عنه شيئاً ولا تفقه له معنى.

اقول هذا لأدل على (تاريخ الموصل) الذي وضعه حضرة صديقي الاب الفاضل القس سليمان صائغ الموصلي قبل فترة من الزمن. فقد اراد هذا الاب ان يضع تاريخاً للموصل. ولكني اقول إنه لم يضع تاريخاً للموصل. بل وضع سجلاً للوقائع الحربية في الموصل. بل قد وضع تاريخاً لموقع الموصل لا للموصل. وانك لتقرأ (تاريخ الموصل) من اوله الى آخره وهو ينيف على الثلاثمائة والاربعين صفحة. فلا تجد الا غارات وحروباً ووقائع دموية. وويلات الى غير ذلك. ولا تجد الا اسماء اشخاص عديدين نشأوا وحاربوا وماتوا وقتلوا. وانه لمن العيب ان يكون التاريخ مقتصراً على وقائع الحروب والغارات. لان الحياة ليست بمقتصرة على الحروب والغارات فهي متعددة المظاهر مختلفة الاساليب متنوعة المناحي.

قد مشى حضرة الاب (بتاريخ الموصل) عدة قرون. ولم يغير وجهته ولا نغمته. مع ان الحياة قد ظهرت بمظاهر عديدة مختلفة في الم وصل اثناء تلك القرون، وتلك العصور. لم يتكلم حضرة الاب عن حالة الاجيال التي ظهرت في الموصل. ولاعن الاحوال الدينية والاجتماعية والادبية والعقلية والروحية والمادية التي تتابعت في الموصل. مدة عصور وقرون. ولا نعرف. ألم يكن اولئك الذين سكنو الموصل مدة قرون بشراً. ألم يكن لهم نفوس بشرية تفكر وتشعر وتتألم وتحيى حياة بشرية. وكيف كانت تلك الحياة. وكيف كانت مظاهر تلك الحياة وسنرى.

لقد وضع الصائغ مقدمة لترجمته شرح فيها الحوادث التاريخية التي استقى منها "كورناي" عمله، وقد اعتمد في ذلك على المؤرخ الروماني (Tite-Live) (١٩-٥٩ ق.م) الذي اعتمد عليه "كورناي" نفسه في بناء حوادث تراجيديته. وقد حاول الصائغ في هذه المقدمة أيضا أن يوضح العناصر التي أضافها (كورناي) الى الرواية.

"أضاف الشاعر الفرنسي كورناي

- يقول الصائغ إلى الرواية ما يشدد أواصر الصداقة بين الهوراس، والكوريـاس فأضاف إلى (Cameille) أخت هوراس وخطيبة الكوريـاس (سابين) أخت كورياس، وزوجة هوراس الظافر.

وبدلا من مجلس الحكم أوقف كورناي على الخشبة الفارس (Valere)، الذي دافع أمام الملك على مسمع من الشعب الروماني عن الحق العام وضرورة معاقبة هوراس الذي قتل أخته" "وكورناي فعل كل ذلك - يضيف الصائغ - ليعطي هذه المأساة روعة بالغة".

إما عن ترجمته، فهو يقول: "إنه تصرف بالاختصار مراعاة للوسط، وحذرا من الإطالة المملة".

وهذه الكلمة الأخيرة تلقي الضوء على عمل المترجم، فقد اختصر النص وتصرف في بعض عباراته، وأجرى تغييرا في بعض أجزائه، مراعاة للوسط، كما يقول. وسوف نوضح ذلك بما يلي:

١- اختصار النص : وهو يتجلى في حذف جزء من الحوار لم ير المترجم أنها يخل كثيرا بالتركيب الدرامي لنص "كورناي". ومن الأمثلة على ذلك ما يلي: حذف الأبيات من ٤٠٣ إلى ٤٠٩، واختصر في حديث "الهوراس والكورياس"، واكتفى المترجم فقط بإشارة كورياس التي وردت في آخر الحوار إلى قدوم فليفيان Flavian. فقد ترجم الصائغ هذه الجملة مع إضافة شيء من عنده بالطريقة التالية :

انظر إلى الباب هذا Flavian قادم لنطلع منه على أخبار الساعة، ونرى من انتخبت "الألب".. نفسي تحدثني..

حذف الصائغ الأبيات الثلاثة الأخيرة من حديث "هوارس مع كورياس". (٤٨٣-٤٥٠) الذي يتضمن حوار كورياس وبدلا من ذلك وضع الصائغ هذه العبارة المختصرة على لسان كورياس:

"بهذا حكم الشرف"

حذف الصائغ كل المشهد الرابع من الفصل الثالث الذي يتضمن حوارا بين Cameille و Sabine فجعل الفصل الثالث يتألف من خمسة مشاهد لا من ستة، كما هو الأصل.

ولعل الصائغ رأى أن حوار الفتاتين في المشهد هو تكرار وتوسيع للحوار الذي جرى بينهما في المشهد السابق.

٢- أدخل الصائغ تغييرات كبيرة في مضمون بعض الحوارات طلبا للاختصار أو تبعا لطبيعة رؤية الصائغ الدينية والأخلاقية.فكامي في ترجمة الصائغ تتوجه إلى هوراس هكذا: "(حزينة دامعة) أواه، لقد تنكر لي وجه الدهر يا عزيزي هوراس وغلبني الحظ العاثر". أما في ترجمة الصائغ فهي تكتفي في هذا الموقف الحماسي بأن توجه إلى كورياس هذا السؤال المحايد: "أأنت سائر إلى الحرب يا كورياس؟".

وفي مكان آخر من المشهد نفسه من ترجمة الصائغ تخاطب كامي خطيبها كورياس بالعبارة التالية : "حاشا لي أن أحملك على الخيانة. كن مثلي يا كورياس لأني رومانية ولو أني تمنيت أن تأتي عملا غير هذا فأضفر لك إكليل الغار".

وهذا الكلام ليس هو بالضبط كلام "كورناي" الذي وضعة على لسان كامي

٣- موقف الصائغ هذا من كامي يحملنا على الحديث عن التغيير الأخير الذي أحدثه في عمل (كورناي).

فقد جعل الصائغ في نهاية هذه المأساة القتيلة (كامي) تظهر ماشية في أعلى المسرح محاطة بالنور مثل قديسة، وحينما يراها جمع الرومان المحتفلين بانتصار هوراس تصيبهم الدهشة.

أما الشيخ هوراس فيجثو على ركبتية وهو يقول: "كامي.....ابنتي كامي.....أنت تتجلين إلي في السماء العليا.. وداعا.....وداعا كامي.....وإلى اللقاء في حضرة الآلهة"

وهذا المشهد الأخير مضاف إلى المأساة الفرنسية طبعا، وقد فرضه على (القس سليمان الصائغ) إحساسه الإنساني باعتباره رجل دين مسيحيا، فهو يرى أن المسكينة "كامي" لا تستحق ذلك العقاب القاسي من أخيها لأنها لم تستطع أن تتقبّل حقيقة أن يكون انتصار أخيها على حساب قتل خطيبها.

ولسنا ندري، بعد ذلك، لماذا حذف الصائغ إشارة (كورناي) الخاصة بقتل "هوراس"، "لكامي" خارج الخشبة فجعل الفعل يتم أمام المشاهدين في المسرحية المترجمة. أيكون المترجم العراقي قد عمد إلى أن يعرض مشهد القتل هذا أمام المشاهدين ليمهد لإجراء ذلك التغيير الأخير؟ حيث أوحى من خلاله بأن "كامي" قد أصبحت بعد قتلها أمام المشاهدين وصعود روحها إلى السماء قديسة وشهيدة، لأنها أصغت إلى قلبها ورفضت الحلف الذي كان أخوها هوراس مضطرا إليه.

ونظرة الصائغ هذه إلى كامي، تلتقي في الواقع مع نظرة كثير من المعجبين برائعة كوناري هذه، فقد رأى هؤلاء أن في قتل هوارس لأخته قسوة بالغة ما كان ينبغي أن تحتويها (تراجيدية) الشاعر الفرنسي أو انها على الأقل، كانت مثار اهتمام كل من قرأ هذا العمل الخالد. ومع كل ما تقدم، تنبغي الإشارة هنا إلى أن ترجمة الصائغ هذه على كل ما فيها تظل واحدة من أفضل الترجمات العربية التي ظهرت لرائعة الشاعر الفرنسي في حينها، أي في الأربعينات من القرن الماضي.

ترجمة القس سليمان الصائغ رائعة كورناي (هوراس)

ضياء خضير

ترجم "القس سليمان الصائغ" تراجيدية كورناي هذه نثرا عام ١٩٤٥ وسماها (رواية هوراس).

وقد مثلت في مدينة الموصل على مسرح مدرسة (شمعون الصفا) الأهلية في العام نفسه، ويبدو أن الصائغ ترجمها خصيصا لفرقة هذه المدرسة، وهذا واضح من الملاحظات المتعلقة بالإخراج التي أبقاها المترجم على المسرحية عند طباعتها. ما يجعل النص أقرب إلى مايسمى ب(الطبعة الإخراجية).

وقد وضع الصائغ كلمة وتعريب) بدلا من (ترجمة) تحت عنوان المسرحية، وهي في الواقع كلمة أكثر مناسبة لعمله من كلمة ترجمة.

فالتعريب يعني نقل النص الأجنبي إلى نص عربي من دون الالتزام ضرورة بالدقة التامة في نقل كلمات النص وتعابيره إلى العربية.

هكذا يبدو هذا النص بعيداً عن أن يكون ترجمة حرفية، ولكنه من ناحية أخرى ليس (إعدادا) بالمعنى الدقيق للكلمة؛ لأن المترجم يلتزم بشكل عام بالأصل الفرنسي، ويبقي على عناصره الأساسية (أسماء، وحوادث، وفصول، ومشاهد). ولكنه يجرى تغييرات جزئية في بعض الحوارات، ويدخل تعديلاً جوهرياً في نهاية المسرحية كما سنرى.

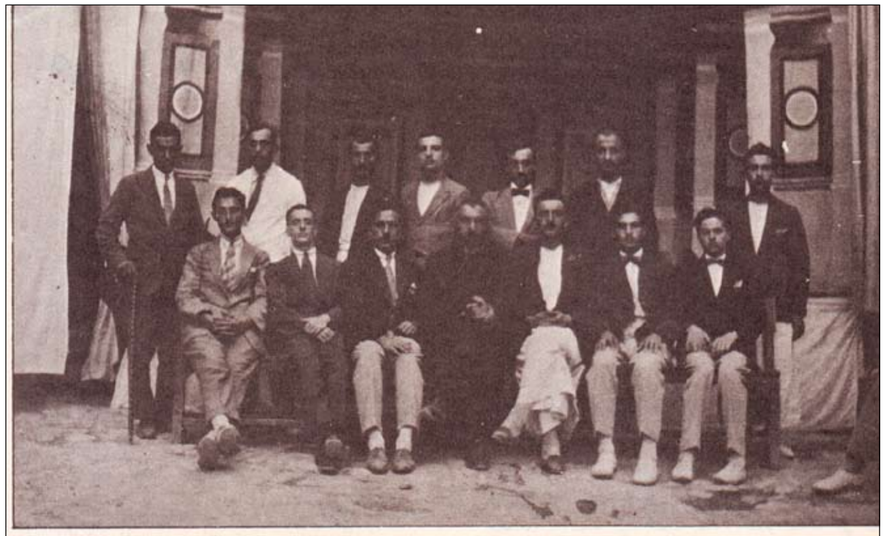

■ ممثلو مسرحية الزباء ـ ويرى وسط المسرح مؤلفها ومخرجها سليمان الصائغ مع ممثلي المسرحية

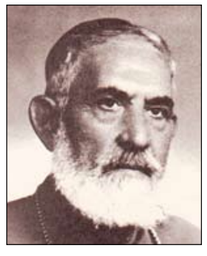

قد وضع الصائغ كلمة وتعريب) بدلا من (ترجمة) تحت عنوان المسرحية، وهي في الواقع كلمة أكثر مناسبة لعمله من كلمة ترجمة.فالتعريب يعني نقل النص الأجنبي إلى نص عربي من دون الالتزام ضرورة بالدقة التامة في نقل كلمات النص وتعابيره إلى العربية. هكذا يبدو هذا النص بعيداً عن أن يكون ترجمة حرفية، ولكنه من ناحية أخرى ليس (إعدادا) بالمعنى الدقيق للكلمة؛ لأن المترجم يلتزم بشكل عام بالأصل الفرنسي

سليمان الصائغ ودور المسيحيين في النهضة الفكرية في العراق

نود نشر هذا البحث القيم عن دور المثقفين المسيحيين في اليقظة الفكرية في العراق الحديث ومنهم المطران الصائغ الذي قدم خدمات جليلة للفكر العراقي.. عراقيون

ع بهنام فضيل عفاص

يجمع المؤرخون انّ بدايات القرن الثامن عشر شهدت انبعاثاً ونهوضاً شمل اقطار المشرق العربي إلا ان تلك النهضة كانت تتفاوت من قطر لآخر فقد ظهرت بوادرها في الشام بظهور الطباعة المبكر حيث دخلت الى لبنان سنة ١٦١٠ في دير مار قزحيا، ومعروف مالللطباعة من أثر بليغ في الازدهار الثقافي والفكري مما يجعلنا نبحثها مفصلاً وخصوصاً لأن اللبنات الاولى كانت منطلقة من الرهبانيات المسيحية التي قدمت الى العراق مبكراً كما أسلفنا.

في الطباعة

لعل اقدم مطبعة تأسست في العراق تلك المطبعة الحجرية التي جاء بها الآباء الدومنيكان من الاقليم الفرنسي الى الموصل في حدود سنة ١٨٥٦-١٨٥٧ وبدأوا في طباعة بعض الكتب الدينية والمدرسية التي تساعدهم في التدريس في مدرستهم الحديثة وقد أقاموا الخوري يوسف داؤد مشرفاً اول على المطبعة فأقدم على طبع كتابه الاول في قواعد اللغة العربية سنة ١٨٥٩ وسمّاه "خلاصة في اصول النحو" وهو اول كتاب في نحو اللغة العربية يُطبع في العراق.

وفي سنة ١٨٦٠ تمّ استبدال المطبعة الحجرية بمطبعة حديثة جلبوها من فرنسا وبدأت في طبع الكتب على اختلاف أنواعها من دينية وأدبية وتأريخية ولغوية وبلغات متعددة ابرزها العربية والفرنسية والسريانية والكلدانية وحتى التركية وشهدت المطبعة بين سنتي ١٨٦٧-١٨٩٨ نشاطاً ملحوظاً في مطبوعاتها المنوعة حيث سجلت هذه الفترة طبع ماينيف على المئة كتاب مابين صغير الحجم وكبيره وفيها ما يشمل عدة مجلدات.

وقد تولى ادارتها بعد سفر الخوري يوسف داؤد الى دمشق ليتسلم زمام ابرشيتها القس لويس رحماني (البطريرك افرام رحماني فيما بعد) والمعلم نعوم سكّار وسليم حسّون، اما المطبوعات السريانية والكلدانية فكانت بأشراف المطران يعقوب اوجين منّا صاحب المؤلفات المشهورة بالكلدانية (القاموس الكلداني –العربي) (وقواعد اللغة الارامية شرقي غربي).

وقد اوردتْ كل مطبوعاتها وبمختلف اللغات وطيلة مدة عملها في كتابي "تأريخ الطباعة والمطبوعات العراقية" المطبوع في بغداد سنة ١٩٨٥ مع غيرها من المطابع والمطبوعات مما يعطي فكرة واضحة عن مدى مساهمتها في نشر التراث وخدمة الفكر والمعرفة.

وفي سنة ١٨٦٣ أقدم الشماس روفائيل المازجي على تأسيس المطبعة الكلدانية من ماله الخاص بعد موافقة البطريرك يوسف جي وقد استعرضتْ كل هذه المطابع مع مطبوعاتها في كتابي الآنف الذكر حول الطباعة والمطبوعات في العراق منذ البدايات وحتى الحرب العظمى الثانية.

في الصحافة

لعل ما يجدر تدوينه ومعرفته ان اول مجلة تصدر في العراق كانت مجلة "اكليل الورود" التي أصدرها الآباء الدومنيكان في الموصل سنة ١٩٠٢ والتي استمرت حتى سنة ١٩٠٩ وساهم في تحريرها نخبة من المثقفين ورجال الدين، وامتازت مقالاتها بالتنوع على مختلف المياادين.

وبعدها أصدر الآباء الكرمليون في بغداد سنة ١٩٠٥ مجلة "زُهيرة بغداد" بالعربية والفرنسية وساهم في تحريرها نخبة من الكتاب وابرزهم الأب انستاس الكرملي اللغوي الشهير والذي اقدم بعد ذلك في سنة ١٩١١ على اصدار مجلته المعروفة "لغة العرب" التي خدمت اللغة والادب والتراث على مدى سنين عديدة وحازت على شهرة واسعة ليس في العراق فحسب وانما على نطاق الاقطار العربية، وساهم في تحريرها نخبة من الكتاب من مختلف المذاهب والاديان.

وأصدر الصحفي المعروف داؤد صليوا في شباط سنة ١٩١٣ مجلة "الخرائب" وهي مجلة ادبية انتقادية، كما أسس الاستاذ رزوق عيسى وهو من تلامذة الكرملي مجلة "خردلة العلوم" وربما كانت اولى المجلات العلمية إلا انها لم تدم طويلاً.

واقدم البطريرك افرام رحماني في بيروت – وهو العراقي أصلاً ومولدا – على اصدار مجلة "الآثار الشرقية" سنة ١٩٢٢ وكانت تصدر بالعربية وتترجم بعض مقالاتها الى الفرنسية وقد حفلت بكثير من المقالات التاريخية والأثرية والتراثية واستمرت في الصدور حتى وفاة مؤسسها سنة ١٩٢٩.

وفي بغداد أصدر الخوري عبد الاحد جرجي سنة ١٩٢٢ مجلة "نشرة الاحد" التي استمرت في العطاء فترة طويلة وصدر منها ١٦ مجلة ثم توقفت بسبب مرض مؤسسها وتقاعده سنة ١٩٣٧؟

في سنة ١٩٢٧ أصدرت طائفة السريان الارثوذكس في القدس مجلة "الحكمة" وكان اكثر كتابها من السريان العراقين ويدعمها البطريرك افرام برصوم بمقالاته التاريخية والتراثية. اما في نهاية سنة ١٩٢٨ فقد صدرت مجلة "النجم" لصاحبها ورئيس تحريرها القس سليمان الصائغ (المطران فيما بعد) وكان لها صدى واسع في الاوساط الادبية والدينية وقد استمرت فترة طويلة في العطاء ومجلداتها الكثيرة الزاخرة خير شاهد على ماقدّمته من خدمات جلّى في ميدان الفكر والتراث، وساهم في تحريرها ابرز الادباء المسيحيين آنذاك.

اما في خمسينات القرن العشرين فقد صدرت مجلتان في بغداد الاولى باسم مجلة "النور" التي أصدرها القس يوسف بابانا (المطران فيما بعد) واستمرت ست سنوات، ومجلة "الغداء" التي أصدرها الأب نوئيل ايوب ولم تدم طويلا.

كما نشط السريان الارثوذكس في الموصل عندما تولى زمام الابرشية المطران بولص بهنام حيث افتتح معهداً كهنوتياً وأصدر مجلة "لسان المشرق" التي حفلت في اعدادها الاولى بالمقالات التأريخية والتراثية إلا انها لم تدم طويلاً.

وفي سنة ١٩٦٤ أصدرت جمعية يسوع الملك في الموصل مجلة "الفكر المسيحي" وكان رئيس تحريرها الأب زهير عفاص ونائبه الأب جرجس القس موسى (المطران السمعاني مطبعة كانت لحزب العهد وأصدر فيها جريدته"الزمان" التي استمرت فترة طويلة وحتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. ومن الصحفين المساهمين نذكر اسكندر معروف، وميخائيل تيسي صاحب النقرات المشهورة والتي عنوانها "كنّاس الشوارع" حيث يمكن ان نعدّها بداية لفن الكاريكاتير المكتوب.

اما خارج العراق فقد أصدر الاب الدكتور الفونس شوريز في الولايات المتحدة جريدة اسبوعية باللغتين العربية والانكليزية واستمرت فترة طويلة.

وفي الموصل يعّد عيسى محفوظ اول من أصدر جريدة سنة ١٩٢٧ وهي جريدة "صدى الجمهور" ويذكر عن صاحبها أنه كان من اوائل الذين عملوا في حقل الطباعة وخصوصا في مطبعة الدومنيكان ثم عمل لحسابه في مطبعته الخاصة وأصدر ابراهيم حدّاد جريدة "صوت الامة" سنة ١٩٣٩ استمرت حتى الخمسينات.

وفي البصرة نجد ابرز الصحفيين هو يوسف هرمز الذي أصدر ومنذ سنة ١٩٢٥ جريدة "الحياة"، وعندما انتقل الى بغداد أصدر جريدة "صوت الشعب" سنة ١٩٣٥.

وفي سنة ١٩٣٤ أصدر أسطيفان كجه جي جريدة "الأيام".

وجدير بالذكر ان المرأة المسيحية كان لها دور مهم في الصحافة العراقية فقد أصدرت بوليانا حسّون سنة ١٩٢٧ مجلة نسوية تحمل عنوان "ليلى" وربما كانت اول مجلة نسوية تصدر في العراق، ثم اعقبتها الصحفية البارزة مريم نرمة التي عملت في الحقل الصحفي مايزيد عن ربع قرن حتى وفاتها في خمسينات القرن العشرين.

هذا ومن الجدير بالذكر ان خير مرجع لتأريخ الصحافة العراقية تلك المحاضرات التي ألقاها روفائيل بطي على طلبة معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية والتي جمعها في كتاب بعنوان "تأريخ الصحافة العراقية" طبع في بغداد. وبنفس العنوان كان المؤرخ عبد الرزاق الحسني قد اصدر كتاباً ثم طبعه ثانيةً سنة ١٩٥٧ اضافة الى كتاب تأريخ الصحافة العربية للكونت فيليب طرازي المطبوع في بيروت بين سنة ١٩١٣-١٩٣٣ في اربعة اجزاء.

في ميدان التأليف والترجمة والنشر

منذ القرن السابع عشر وهناك رغبة تراود المفكرين في التأليف والترجمة والنشر لمعرفتهم مدى أهمية الكتب في تثقيف المجتمع وتنويره، إلا انهم كانوا يصطدمون بعقبة الطباعة التي لم تكن قد تواجدت في العراق، فبقيت أكثر مؤلفاتهم مخطوطة، بينما تسنّى للبعض منهم طبعها في مطابع الغرب، ومن هؤلاء نذكر المطران اسحاق بن جبير (ولد في الموصل ١٦٣٤ وتوفي في روما سنة ١٧٢١)مؤلف كتاب "الاقتداء بالمسيح" الذي طبع في روما، كما طُبعت مجلداته الفلسفية واللاهوتية المترجمة عن القديس توما الاكويني، بينما بقيت مخطوطته في قواعد اللغة السريانية محفوظة من دون طبع وكذلك بقية مؤلفاته.

كما يذكر في هذا الصدد القس خدر بن القس هرمز (ولد في الموصل ١٦٧٩ وتوفي في روما سنة ١٧٥٥) الذي ترك الموصل في ظروف المنازعات الطائفية ليذهب الى روما مع معجمه الشهير الذي ظل مخطوطا ولم يكتب له الظهور فبقيت نسخ منه في مكتبة البطريركية الكلدانية ونسخ اخرى في روما ولبنان، وقد قدمتُ عنه بحثا نشرته مجلة نجم المشرق في السبعينات. اما في منتصف القرن الثامن عشر وعند تأسيس مطبعة الدومنيكان والمطبعة الكلدانية وبقية المطابع الاخرى فقد ازدهرت حركة التأليف والترجمة والنشر ازدهارا ملحوظاً وكان رائدها الاول الخوري يوسف داؤد (المطران اقليميس يوسف داؤد فيما بعد) (١٨٢٩-١٨٩٠) الذي أشرف على مطبعة الدومنيكان في الموصل وقام بترجمة الكتاب المقدس وطبعه في عدة مجلدات ابتداءاً من سنة ١٨٧١ وتعد هذه المجلدات والترجمة من اولى الطبعات وادقّها، وقد فتح مجال التأليف المنهجي للمدارس في مختلف المعارف والفنون واللغات اضافة الى تحقيق كتب التراث المختلفة، والتأليف في مجالات المعرفة الدينية، كما أسهم في الدراسات اللغوية، ويعدّ كتابه "خلاصة في أصول النحو" الذي طبعه سنة ١٨٥٩ اول كتاب في قواعد اللغة العربية يطبع في العراق وتتواجد الآن منه نسخة في مكتبة المتحف العراقي، كما يعد كتابه الثاني في النحو الذي أسماه "التمرنة في الاصول النحوية" من الكتب اللغوية الجديرة بالدراسة وقد صدّره في طبعته الثانية سنة ١٨٧٥ بتقريظ اربعة من علماء الموصل اللغويين والدينين من المسلمين وكلهم يثنون على الخوري يوسف داؤد وينعتونه بالعلامة، وقد صوّرتْ هذه الكتب ومقتطفات منها في كتابي الذي يتناوله بالدراسة والتحليل والذي يحمل اسمه وقد طبعته في بغداد سنة ١٩٨٥ مبيناً دور هذا الرجل في الفكر العراقي فقد ترك لنا خمسة وثلاثين مؤلفاً في مختلف ميادين الفكر طبع منها اربعون وبقيت الاخرى في عداد المخطوطات محفوظة في مكتبات رومة ودير الشرفة في لبنان.

ومن المعاصرين له وزميله في الدراسة في رومة البطريرك جرجس عبد يشوع الخياط الذي أشرف على المطبعة الكلدانية في الموصل بعد وفاة مؤسسها وطبع فيها بعضا من كتب التراث وشيئاً من مؤلفاته.

وتابع المسيرة بعض ممن تتلمذوا عند اولئك الروّاد فساروا على نفس النهج ، برز منهم القس لويس رحماني (البطريرك افرام رحماني) بمؤلفاته الكثيرة التي تزيد على الثلاثين والمطران أدّي شير صاحب تأريخ كلدو وآشور والمؤلفات التأريخية والتراثية الكثيرة اضافة الى مقالاته وبحوثه في مختلف المجلات الفرنسية والايطالية. كما برز المطران يعقوب اوجين منّا كمشرف على مطبعة الدومنيكان للكتب السريانية والكلدانية اضافة الى مؤلفاته الكثيرة في قواعد وآداب اللغة الآرامية.

اما الفونس منكنا فقام بتحقيق الكثير من كتب التراث وألف في قواعد اللغة الآرامية، ثم هاجر الى المملكة المتحدة وعمل هناك في مكتباتها القديمة محققاً وباحثاً وظهرت له مؤلفات في الانكليزية.

هذا والاسماء المساهمة في النهضة الفكرية لايمكن ان تحصر ، فاقتصرنا على الرّواد والبارزين منهم فقط.

وقد اختتم القرن التاسع عشر بظهور شخصية لغوية فذّة هو الأب أنستاس ماري الكرملي الذي بدأ اولا بكتابة مقالاته اللغوية والتأريخية في صحف عربية واروبية ثم اقدم على اصدار مجلة "لغة العرب" سنة ١٩١١ التي خدمت اللغة العربية والثقافة والفكر فترة ليست بالقصيرة، واهم مؤلفاته التي تزيد على الثلاثين المعجم المساعد الذي عملت وزارة الاعلام العراقية على طبعه في اواخر القرن الماضي. اما شخصية البطريرك افرام برصوم فقد اسهمت ولو عن بعد في ميدان البحث والتحقيق ونشر التراث وكتابه اللؤلؤ المنثور يُعد من المراجع المهمة في الادب السرياني ومن الادباء والمفكرين من غير رجال الدين هناك شخصيات ساهمت في ميدان او اكثر وتالت شهرة واسعة نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور سليمان غزالة الطبيب والسياسي والمؤلف، ونعوم فتح الله سكّار صاحب اول نص مسرحي يطبع في العراق، وهرمز رسّام اول عالم آثار عراقي، اضافة الى الصحفيين البارزين الذين مّر ذكرهم سابقاً امثال يوسف غنيمة وداؤد صليوا وروفائيل بطي.

وفي النصف الاول من القرن العشرين يذكر المطران سليمان الصائغ كقلم بارز في ميدان التأليف التاريخي والروائي والمسرحي ويعد رائداً في كتابة الرواية التأريخية ومن الروّاد في كتابة المسرحيات التأريخية ايضاً.

ويمكننا ان نشير هنا الى موسوعة اعلام العراق في القرن العشرين التي أصدرتها وزارة الاعلام العراقية سنة ١٩٩٥ وتورد في الجزء الاول منها ذكر ألف شخصية عراقية كان منهم خمسون شخصية مسيحية ساهمت مساهمة فعّالة في مختلف الميادين الفكرية والثقافية والعلمية، وكذلك في الجزء الثاني منها مايقرب من نفس العدد فهي خير مرجع لمعرفة من ساهم من المسيحين وخصوصا خلال القرن العشرين في ميادين الفكر والمعرفة.

دور المسيحين في المسرح العراقي

لعل الدكتور علي الزبيدي كان اول من تطّرق الى جذور المسرح العراقي معلنا ان تلك الجذور تمتد الى المدارس المسيحية التي اسسها الآباء الدمنيكان في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر وقد اورد هذه المعلومات في محاضرته في معهد الدراسات العربية التابع لمجلس الجامعة العربية في القاهرة والتي طبعت فيما بعد في القاهرة سنة ١٩٦٧ بعنوان " المسرحية العربية في العراق" مبينا ان تلك المدارس اعتادت ان تقيم حفلات تمثل فيها مسرحيات دينية واجتماعية وتاريخية وكان المعلم نعوم فتح سكّار مشتركاً ومشرفاً على المسرح عدة مرات ثم طبعها في مطبعة الدومنيكان سنة ١٨٩٣ فكانت بذلك اول نص مسرحي عراقي يطبع في العراق . ويبدوا ان الدكتور الزبيدي لم يقرأ المسرحية وتحدث عنها سماعاً وهذا ما حدا بالدكتور صالح جواد الطعمة وكان آنذاك في واشنطن ان يبحث في امر هذه المسرحية فوجدها في مكتبة الكونغرس الامريكي وقام بكتابة بحث عنها ناقدا ومحللاً نشره في مجلة الاديب البيروتية متوصلاً بالفعل الى انها اول مسرحية عراقية تطبع في العراق وانها كانت مسرحية اجتماعية انتقادية. وبعدها ألّف سليم حسون مسرحية دينية بعنوان استشهاد مارتوسيوس طبعت في الموصل سنة ١٩٠٢.

وبعد هذه الفترة ظهر كاتب مسرحي آخر يدعى حنا رسّام اشتهر بكتابة مسرحيات اجتماعية ودينية . مثّل اكثرها على خشبة المسرح وتم طبعها جاء على ذكرها جميعاً الدكتور عمر الطالب في مقال له عن الكاتب ودوره المسرحي وحدث نفس الشيء في المدارس الطائفية المسيحية في بغداد حيث قاموا بتمثيل الكثير من المسرحيات الادبية والتاريخية والدينية في وقت مبكر .

اما الموصل فعادت وشهدت في نهاية الاربعينيات من القرن الماضي نهضة مسرحية ملحوظة وكنت (صاحب المقال) من معاصريها حيث قامت الطوائف الكلدانية والسريانية الكاثوليكية والارثذوكسية بنشاط مسرحي خصص ريعه لمساعدة الجمعيات الخيرية .

كما شهدت وربما لاول مرة تمثيل مسرحيات لموليير الفرنسي نذكر منها مسرحية البخيل ، والمكري النبيل والطبيب رغما عنه ، كما مثلت مسرحية الجنفياف وهي مسرحية تمثل العفاف والوفاء ، ومثلت مسرحيات تاريخية لمؤلفها المطران سليمان الصائغ وهي مسرحية هوراس والزبّاء ، وكذلك مسرحية الامـيران الشـهيدان للقس جرجيس قندلا (المطران فيما بعد) وبرهان الشجاعة المترجمة من الفرنسية ، هذا النشاط الملحوظ الذي اشترك فيه نخبة من الشباب المثقف وقام باخراج المسرحيات

غلاف مجلة (النجم) التي أصدرها الصائغ سنة ١٩٢٨

وعمل الديكورات اللازمة وتصميم الملابس اناس من ذوي الاختصاص في هذا العمل وفي تلك الفترة رائعاً ومثيراً للانتباه قياساً بالامكانيات البسيطة المتوفرة آنذاك .

في ميدان الآثار والتنقيبات

لقد كانت البوادر الاولى للكشف عن كنوز العراقي وآثاره تلك المحاولات التي قام بها القنصل الفرنسي أميل بوتا ومن بعده هنري لايارد الانكليزي في منتصف القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة ١٨٤٠ .

وقد اعتمدت هذه البعثات على مواطنين من الموصل بغية مساعدتهم في مهامهم ، وكان لايارد قد اعتمد على شخص موصلي يدعى هرمز بن القس انطوان رسام الذي بدوره ومع الايام اصبح من الهاوين والمهتمين في هذا الحقل ، ومن ثم ساهم مساهمة فعالة في عمليات التنقيب واصبح مع الايام من البارزين في حقل الآثار والف اربعة كتب بالانكليزية طبعت في لندن والولايات المتحدة كان اولها سنة ١٨٧٩ الذي طبع في لندن بعنوان " الاكتشافات الاثرية في بلاد أشور " والكتب في مجموعها تتحدث عن الكنوز والآثار الموجودة في أرض الرافدين وما بين النهرين وخصوصا في نينوى ونمرود وجنة عدن وتعطي فكرة واضحة عن تلك الحضارة الرائدة في العالم . وقد استمر هرمز رسام فيما بعد في لندن وتوفي سنة ١٩١٠ وقد نعته مجلة المقتطف المصرية عندما نعته بانه من علماء الآثار البارزين وتحدثت عن اعماله وكتبه باسهاب.

في ميدان السياحة والرحلات

يعد فن كتابة الرحلات السياحية من الفنون النثرية المهمة ، وقد مارس هذا الفن بعض من رجال الدين المسيحيين نظراً لكثرة اسفارهم ورحلاتهم الى بيت المقدس وبلاد الشام والى روما وبعض العواصم الاوربية بحكم وظائفهم واتصالاتهم بالرؤساء ، وبحكم دراستهم فيما بعد في الجامعات الدينية واول من برز في هذا الفن من العراقيين هو الخوري الياس بن قس حنا الموصلي الذي قام برحلة الى اوربا ومن ثم الى اميركا في وقت لم تكن فيه الرحلات متيسرة فقد بدأ الرحلة سنة ١٦٦٨ وانتهت سنة ١٦٨٣ ومن هنا كان الحق للاب انطون رباط اليوسفي عندما عثر على المخطوطة التي كتبها المؤلف بخط يده واصفاً رحلته وصفاً دقيقاً وما مرّ به من أحداث وبلدان مختلفة ، حققها ونشرها في مجلة المشرق البيروتية في مجلد سنة ١٩٠٥ وبسبعة اعداد متتالية ربطها بعنوان (رحلة اول سائح شرقي الى اميركا) .

وفعلاً كانت رحلته أول رحلة من نوعها لا بل يستطيع ان نقول عنها انها كانت مغامرة، وقد نشر رباط المخطوطة فيما بعد في كتاب مستقل يحمل ذلك العنوان الذي اختاره في ٩١ صفحة وطبعه سنة ١٩٠٦ في المطبعة اليسوعية في بيروت ومن هنا كان الخوري الياس ليس أول عراقي وانما اول شرقي يصل الى أمريكا.

ومن الرحلات المهمة ايضا رحلة القس خدر بن القس هرمز المتوفى سنة ١٧٥٥ من الموصل عن طريق حلب وبيروت ثم روما والتي دامت سنة كاملة وقد دوّن ملاحظاته واخباره ووصف البلدان والاماكن التي مر بها وزارها مخطوطة بخط يده وقد عثر عليها الاب لويس شيخو اليسوعي فقام بتحقيقها ونشرها في مجلة المشرق لسنة ١٩١٠ في اربعة اعداد متتالية ويبدو ان الرحلة كانت ناقصة لذا نجد الاب شيخو يطلب من مواطنيه الموصليين ان يوافوه بها فيما لو عرفوا عنها شيئاً.

وقد وجدنا الكثير من هذه المخطوطات في خزانة الادیرة والكنائس القديمة لاباء كتبوها في رحلاتهم وسياحتهم نخص بالذكر ما كتبه مطران بغداد اغناطيوس خوري عن سفرته بطريق البحر الى الهند وما كتبه الكثيريون عن رحلاتهم الى بيت المقدس للزيارة والتبرّك

في ميدان السياسة

أصبح للمسيحيين حضور فاعل منذ ان أعترف السلاطين العثمانيون بالطوائف المسيحية وبرؤسائها ، وكان أن منح السلطان عبد الحميد سنة ١٨٨٧ (الطرة الطغراء) للطائفة الكلدانية ايام بطريرك ايليا عبو اليونان وهي تقدير خاص تمنح للشخصيات أو المؤسسات التي تخدم الدولة وهي بمثابة شعار الدولة وموقّعة من السلطان وقد وصلت الى الموصل في ١٤ ايلول من السنة نفسها فاستقبلها الناس والرسميون وعُلّقت في صدر قاعة كبرى في البطريركية اخذت فيما بعد اسمها وسط احتفال مهيب ومنذ ذلك الحين دخلوا المسيحيين كاعضاء في مجلس المبعوثان الثاني ولكن بنسب قليلة نذكر منهم واحداً عائلة يوسفاني الموصلية ، والدكتور سليمان غزالة الطبيب والاديب العراقي .

إلا ان خلال الحرب العالمية الاولى حدثت اضطهادات كبرى ومؤلمة لا بل وحشية وخصوصاً ضد المسيحيين القاطنين في ماردين وسعرد والجزيرة ومراكز أخرى راح ضحيتها الالاف من المسيحيين وخاصة (الارمن ، الكلدان ، السريان) وكان على رأسهم المطران العلامة أدي شير رئيس اساقفة سعرد الكلدانية الذي استشهد سنة ١٩١٦ وقد نزح من نجا من الاضطهاد الى الموصل وحلب وغيرها من المناطق ، ومما يذكر في هذا الصدد وما عرفناه من وثيقة تاريخية تثبت ان الملك فيصل الاول وكان آنذاك قائد للجبهة العربية اوصى بقبول المهاجرين والنازحين ومعاملتهم معاملة حسنة .

هذا وقد أرّخ لهذه الاحداث الخوري اسحق ارملة في كتابه " القصارى في نكبات النصارى " المطبوع في بيروت وكان في شبابه شاهد عيان مما يعطي نظرة عن مدى قسوة ووحشية تلك الاضطهادات .

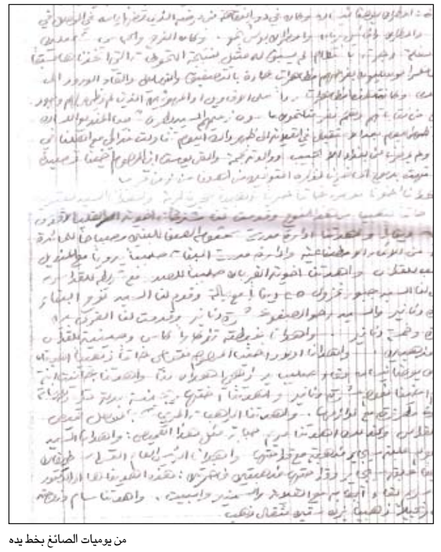

من يوميات الصائغ بخط يده

وعند انتهاء الحرب العالمية الاولى نجد حضوراً مميزاً للمسيحيين في مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩ حيث حضره البطريرك افرام برصوم وغيره من الشخصيات الوطنية العربية المعروفة بالتطلعات القومية .

أما بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق سنة ١٩٢١ فقد تضمن الدستور تمثيلا يتناسب وعددهم ومن الاوائل الذين انتخبوا نواباً في مجلس النواب الدكتور سليمان غزالة ورؤوف شماس ألوس والخوري يوسف خياط ثم تكللت مشاركتهم فيما بعد بتعيين البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني عضوا في مجلس الاعيان ، وتبعه البطريرك يوسف غنيمة في نفس المنصب حتى وفاته قبل ثورة ١٤ تموز١٩٥٨ بايام قليلة عندما عطلت اعمال المجلسين.

اما دورهم في قضية ولاية الموصل ومطالبة تركيا بها وبعدها بخول العراق في عصبة الامم فقد كان دوراً بارزاً ومشرّفا اشترك فيه البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني ونائبه المطران يوسف غنيمة والقس سليمان الصائغ وخصوصا عندما القى المطران غنيمة خطابا بالفرنسية في الوفد الاممي الذي قدم الى الموصل لتقصي الحقائق واستطلاع الاوضاع حيث ابدى رغبة اهالي الموصل في الحكم الوطني وتعلقهم بالعراق .

كما ارسل فيما بعد البطريرك عمانوئيل رسالة مطوّلة الى مقرر عصبة الامم في جنيف توحي بان المسيحيين يؤيدون الحكم الوطني والاستقلال . ثم كانت زيارة الملك فيصل الاول الى الموصل سنة ١٩٣١ ملبيا دعوة البطريرك يوسف عمانوئيل الى دير مار أوراها القريب من الموصل تلك الزيارة التاريخية التي دعمت المسيحيين والتي خلدها القس سليمان الصائغ بقصيدة مطولة القاها في الاحتفال كما بقيت في أذهان الناس بتلك المرحلة التاريخية والتذكارية التي تجمع الملك بالبطريرك والكهنة والتي بقيت متداولة بين الناس.

إلا ان هذه المواقف الطيبة لم تردع بعض المتهورين والمتعصبين من القيام بتلك المذبحة التي جرت للأثوريين وخصوصا في منطقة سُمَيل القريبة من دهوك ، الا ان الملك فيصل الاول كان خارج البلاد للعلاج وقدمَ على وجه السرعة محاولا اطفاء نار الفتنة ويعترف الدكتور ناجي شوكت وهو رئيس الوزراء في مذكراته بان الملك لم يكن راضيا عما حدث وقد انّب المسؤولين على ذلك .

وقد استمر المسيحيون خلال العهد الملكي بالمشاركة في مجلس النواب حيث كانت لهم ستة مقاعد ثلاثة للموصل واثنان لبغداد وواحد للبصرة اضافة الى مقعد واحد في مجلس الاعيان كان البطريرك يشغله حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، أما المناصب الوزارية فقد شغلها المسيحيون عن جدارة منذ ان اختيار الدكتور حنا خياط كاول وزير صحة عراقي ثم يوسف غنيمة كوزير للمالية والتموين في عدة وزارات ، وروفائيل بطّي الاديب والصحفي اللامع الذي اختير في وزارة الجمالي سنة ١٩٥٣ كوزير للدعاية والصحافة ، وعلى نطاق الاحزاب السياسية عمل المسيحيون وبصورة فعّالة إلا أن المشاركة كانت بنسب ضئيلة ولو أن بعضهم تولّى مناصب قيادية في تلك الاحزاب .

في ميدان الخدمات العامة

ساهم المسيحيون في بناء المجتمع العراقي عند ما كان العراق تحت السيطرة العثمانية حيث كانوا يمارسون المهن على اختلاف انواعها وخصوصا الوظيفة منها اضافة الى التجارة وقد امتازوا بالامانة والاخلاص وهذا ماجعل بعضهم يتولى مناصب ادارية ومالية مرموقة ، كما انصرف البعض منهم الى تحصيل العلم والدراسة في المعاهد العراقية والكثير منهم تلقوا دروسهم خارج العراق خصوصا رجال الدين وقد عادوا فيما بعد الى وطنهم ليمارسوا نشاطهم على كافة الاصعدة ومنذ الحكم الوطني في العراق وما قبله نجد اسماء لامعة لاطباء ومهندسين واساتذة ومحامين اخذوا شهرتهم بثقافتهم واخلاصهم .

وفي ميدان فن العمارة والبناء والزخرفة نجد تمييزاً واضحاً وخصوصا في بناء الكنائس والمعابد والاديرة منذ القرون الوسطى والتي حافظت على طرازه المتميز والشرقي والاصيل ويكفي ان نتذكر كنيسة شمعون الصفا في الموصل والتي يرتقي عهد بنائها كما أوضحت الليدي درور الى القرن الرابع عشر الميلادي ووافقها على ذلك كثير من الاثاريين والمؤرخين خير شاهد على فن العمار الاصيل والزخرفة ، وقد جددت هذه الكنيسة عدة مرات كان آخرها سنة ١٩٧٢ وكذلك كنيسة مسكنة الكلدانية التي يرتقي عهدها الى القرن السادس عشر وكنيسة الطاهرة التي بنيت على انقاض دير قديم نزل فيه البطريرك ايشوعياب الكبير والخليفة المأمون ويسمى (ديرا عُلايا) وكنيسة أم الاحزان في بغداد التي بنيت سنة ١٨٨٩ واستعمل فيها الرخام الموصلي وبُنيت بطريقة الاعمدة ومثلها كنيسة السريان الكاثوليك في بغداد وكنيسة الملائين التي بنيت سنة ١٨٧٠ وكانت آية الجمال والروعة . وما قلناه ينطبق على عدة كنائس وادیرة اخرى كثيرة انتشرت في الموصل وضواحيها اهمها كنيستا السريان الكاثوليك والارثدوكس ودير الشهيد بهنام والشيخ متي ودير مار كوركيس ومار ميخائيل ودير الربان هرمز ودير السيدة في القوش وكنائس قره قوش وتلكيف وغيرها من القرى المسيحية وكلها تشهد بفن معماري انيق ورائع ومتميز .

اما في ميدان التعليم فنجد اوائل الاساتذة في المدارس المسيحية التي أنشأت في الموصل وبغداد وغيرها ، واوائل الكتب المدرسية التي طبعت في مطبعة الدومنيكان وكان اكثرها من تاليف العلامة خوري يوسف داود (فيما بعد المطران اقليمس يوسف داود) حيث الف كتابا في علم الحساب سنة ١٨٦٥ سماه (تعلّة الرغاب في علم الحساب) وهو بهذا اول كتاب علمي ومنهجي يطبع في العراق ، كما الف كتاب في علم الجغرافيا سنة ١٨٦٣ ، وكان قد سبق والف كتاب في قواعد اللغة العربية وصرفها طبع في المطبعة الحجرية سنة ١٨٥٩ وهو اول كتاب نحوي طبع في العراق ثم اتبعه سنة ١٨٦٩ بكتاب نحوي آخر اسمه (التمرنة في الاصول النحوية) وعندما لاقا رواجاً طبعه طبعة ثانية منقحة سنة ١٨٧٥ وصدرها بشهادة من اربعة من علماء المسلمين المشهورين في الموصل وكلهم يثنون ويقدّرون الكتاب ومؤلفه .

وفي ميدان الطبي مارس رجال الدين المسيحيون بحكم ثقافتهم في الجامعات الغربية دور الاطباء في وقت لم يكن هناك طبيب مجاز قانونيا ، كما قامت الراهبات ومنذ بداية تاسيس الرهبانيات بدور المرضات فقد روى لنا الكثير من المعمرين ان المستشفى الملكي في بغداد كانت تديره راهبات الخدمة واكثرهن من فرنسا وايطاليا حتى تهيأ المستشفى فيما بعد الكادر الطبي ، ويروي لنا ان الملك فيصل الاول اعجب بنشاط وعطف الراهبات ومعاملتهم الانسانية للمرضى فقدم لهن ارضا واسعة كي يشيدوا عليها ديراً لهن . وفي بدايات القرن العشرين نجد نخبة لامعة من الاطباء الذين درسوا في جامعات اوربية وعادوا ليمارسوا مهنتهم في الوطن يذكر منهم الدكتور سليمان غزالة (١٨٥٤-١٩٢٩) الذي درس الطب في فرنسا وعيّن طبيبا في الاستانة ومشرفا على جميع الولايات العراقية سنة ١٩١٢ ، ثم عين طبيبا في مجلس الصحة بين الامم وبعدها استقر في البصرة ومارس مهنته الى جانب استمراره الكبير ومواهبه في الادب والفن حيث ترك لنا خمسة عشر مؤلفا في مختلف الميادين الفكرية وبرز كذلك الدكتور حنا خياط (ت ١٩٥٩) الذي يعد أول وزير صحة عراقي وكان قد طبع سنة ١٩١٤ كتابا يحمل عنوانه " لمحة اختبارية في الحمى التيفوئيد" وهو بذلك اول كتاب طبي يطبع في العراق .

اما خلال القرن الماضي فيمكن ان نشير الى موسوعة " اعلام العراق في القرن العشرين" التي نشرتها وزارة الاعلام العراقية في نهاية التسعينات حيث جاءت بذكر كثير من الاسماء اللامعة للمسيحيين العراقيين شاركوا في بناء وتقدم العراق الحديث .

خاتمـــة

ويسرني ان أختم هذا البحث الموجز بكلمة طيبة وصادقة كتبها الامير الهاشمي الحسن بن طلال في كتاب له بعنوان " المسيحية في العالم العربي " صدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية في عمان سنة ١٩٩٥ . حيث قال " وتبقى الحقيقة ان المسيحيين ليسوا أغراب بأي شكل عن المحيط الاسلامي في بلادهم ، وهو المجتمع الذي اشتركوا واسهموا في حضارته ومدنيته ماديا ومعنويا منذ اربعة عشر قرناً ومن دون انقطاع حتى اليوم ، وكان اسهامهم بارزا وبارعا طوال هذه المدة وحائزاً على ثقة مواطنيهم المسلمين الذين طالما كلفوهم التكلم باسم المجموع في التعامل مع الخارج.

ونحن اذ نفتخر بما قدّمه الاسلاف نتمنى ان تبقى المسيرة في طريقها وتسعى دائما الى خدمة البشرية والعالم اجمع منطلقين من المقولة الانجيلية الرائعة يوم ولد المسيح " المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة" .

سليمان الصائغ وقلعة باشطابيا

د. ابراهيم خليل
باحث ومؤرخ عراقي

سليمان الصائغ مؤرخ موصلي، ورجل دين مسيحي ولد بالموصل سنة ١٨٨٦، وأتم دراسته اللاهوتية في مدارسها الدينية، ثم اشتغل بالتعليم وادارة المدارس، وعيّن عضواً في الجنة فحص المدارس الاجنبية)، ثم اصبح رئيساً لتحرير جريدة الموصل التي صدر عددها الاول في ٢٥ من حزيران ١٨٨٥م وتوقفت عند نشوب الحرب العالمية الاولى، ثم اعاد المحتلون الانكليز اصدارها بعد دخولهم الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ وعندما برزت مشكلة الموصل اثر مطالبة الاتراك بها، كان سليمان صائغ عضواً نشيطاً في (جمعية الدفاع الوطني) التي قامت بدور كبير في تأييد عروبة الموصل. اصدر سليمان صايغ مجلة (النجم)، وقد ظهر في صدر صفحتها الاولى انها مجلة شهرية دينية تاريخية اجتماعية.

واهتمت المجلة، منذ صدورها سنة ١٩٢٨ حتى توقفها سنة ١٩٥٥، بالدراسات الدينية والثقافية والتاريخية. ويعد صايغ من ابرز الكتاب الرواد الذين اهتموا بالمسرحية التاريخية في العراق، فمن خلالها حرص على تقديم الوقائع التاريخية باسلوب قصصي مشوق، ويشير الاستاذ الدكتور عمر محمد الطالب في بحثه الموسوم: (سليمان صايغ: ادبه الروائي والمسرحي)، المنشور في مجلة بين النهرين، العدد (١٩)، ١٩٧٥، الى ان سليمان صايغ، استخدم التاريخ لاغراض دينية، تربوية وحرص على جذب القارئ وتقديم الحقائق باسلوب بسيط خال من التعقيد، وكان همه الرئيس (نشر فكرة الاصلاح الاخلاقي والاجتماعي والتربوي).

وقد جاءت كتاباته شبيهة بكتابات الكاتب المصري جرجي زيدان ١٨٦١ – ١٩١٤، وخاصة في رواياته التاريخية التي استهدفت من ورائها العمل على احياء وعي العرب لماضيهم المجيد.

لقد اهتم سليمان صايغ بالتاريخ، وبتاريخ مدينته الموصل بشلك خاص، لذلك الف كتابه القيم (تاريخ الموصل) والذي صدر في ثلاثة اجزاء.

ويذكر المرحوم الدكتور عبد الجبار الجومرد في كتابه المخطوط (الموصل والتاريخ منذ اقدم العصور حتى اليوم) الورقة: ان الموصل لم تشهد، منذ ان فرغ المؤرخان العمريان محمد امين وياسين ولدي خير الله من كتابة مؤلفاتهما في اواخر القرن التاسع عشر، من اهتم بتدوين اخبارها حتى مطلع القرن العشرين، عندما ظهر شليمان صايغ). وقد بين صايغ اسباب اهتمامه بتاريخ الموصل قائلا: وعلى هذا نجد اليوم تواريخ مسطرة لكل مدينة، اشتهرت باثارها، واخبار دولها ومشاهير رجالها، الا اننا لسوء الحظ لم نجد للموصل الخضراء تاريخا خاصا بها يوقفنا على قدميها، ويتطوي على اخبارها.. على الرغم من ان الاقدمين من فحول علماء الموصل عنوا بتدوين تاريخها واستيعاب الطارف والتالد من اخبارها ويضيف الى ذلك رغبته في خدمة وطنه من خلال التاريخ لمدينته. وقد خصص صايغ الاول من كتابه للتاريخ السياسي، اما الجزء الثاني فخصصه للتاريخ الثقافي وكرس الجزء الثالث لنفائس الاثار والمباني العربية – الاسلامية في الجزء الثالث من كتابه، تحدث كثيرا عن معلم مهم من معالم مدينة الموصل، وهو (باشطابيا) اي القلعة الرئيسة، وهي كلمة تركية تتألف من مقطعين (باش اي الرئيسة وطابية اي القلعة). وتقع باشطابيا شمالي شرق المدينة، وموقعها داخل اسوار الموصل. وقد اشار صايغ الى ان بعض المصادر ذكرت ان القلعة كانت خارج الاسوار وهذا غير صحيح فباشن طابية او ما يسميه هو (الدير الاعلى او دير ما كوربيل) (يقع داخل الاسوار المندثرة ملاصقا لها بذيل برجها الاعلى باشطابيا). ونقل صايغ عن المؤرخين والبلدانيين العرب والرحالة الاجانب انطباعاتهم عن القلعة، فالعمري في كتابه مسالك الابصار قال ان الدير الاعلى بالموصل يقع في اعلى جبل مطل على دجلة، دير ، يضرب به المثل في رقة الهواء وحسن المستشرق وظهرت تحته عدة عيوم كبريتية.. والى جانب هذا الدير مشهد عمر بن الحمق الخزاعي الصحابي. ووصف المقدسي الدير الاعلى قائلا: والدير الاعلى في اعلى نقطة من البلدة فوق دجلة.

وذكر ابن خلكان عن الحسين بن نصير الحمداني انه توفي في الموصل سنة ٩٤٩م ودفن في المسجد الذي بناه لنفسه في الدير الاعلى، ولا اثر اليوم لهذا المسجد. وزار الرحالة البريطاني (اينسوورث) الموصل سنة ١٨٣٧ وكتب يقول: ان الوصل من المدن القليلة التي حفظت اسوارها من الخراب، ومنها باشطابيا وهي بناية عظيمة. اما الرحالة البريطاني الاخر (بارج) فكتب عن زيارته للقلعة سنة ١٨٥٠ دير علايتا اي الدير الاعلى المخصص بمار (القديس) كوربيل: يقع في الشمال الشرقي من مدينة الموصل ملاصقا تماما لسور المدينة. لقد كان لقلعة باشطابيا دور مهم في الدفاع عن الموصل ابان حصار نادر شاه لها سنة ١٧٤٣، وبعد انتهاء الحصار جدد الحاج حسين باشا الجليلي ماخرب من القلعة نتيجة تساقط قنابل الغزاة: وفي يوم الاحتفال بانتهاء التجديد انشد عبد الجمال حسن قصيدة جاء في مطلعها:

في هيكل الدير قم وانظر ترَ عجبا
من الاشعة كالمصباح مقبوساً

ويذكر صايغ ان كنيسة الطاهرة، هي هيكل الدير الاعلى، فقد كان هذا الدير يشغل بقعة واسعة الارجاء وفي وسطه هيكله المعروف اليو بكنيسة الطاهرة، وكان الدير الاعلى ملاصقا للسور على يسار الساعد الى باشطابيا. ويشير المؤرخون الى ان المامون عندما زار الموصل في طريقه الى الشام حوالي سنة ٨٣٠ م (حل في الدير الاعلى اقام فيه ايامًا لطيبه ونزهته) وقد صادف عيد الشعانين، فجلس المامون في موضع منه مشرف على دجل والبساتين ويشاهد من مدخل الدير والجدير بالذكر العادة الجارية عند اهالي الموصل من المسيحيين، زيارة مذبح الدير الملتصق بجدار السور المطل على دجلة بذيل باشطابيا وايقاد الشموع امامه، ويختم سليمان صايغ حديثه عن باشطابيا قائلاً ان الدير الاعلى ضم مدرسة عرفت بمدرسة ام الفضائل، وكانت اشبه بجامعة لمختلف العلوم المزدهرة ايام الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي، من اداب ولغة وفلسفة وطب. وقد شهد بشهرة المدرسة ابو عثمان الخالدي الموصلي بقصيدة استذكر فيها دور الرهبان في استلهام حكمة المبرد واشعار الطرماح.

لقد واجهت (القلعة الرئيسة) هذه، الكثير من التخريب ، لعوامل مختلفة، كما انخلت عليها بعض الترميمات، ولاساتذنا الكبير، شيخ المؤرخين الموصلين سعيد الديوه جي بحث مهم عن اسوار الموصل وعن التخريبات والترميمات التي لحقت بها منذ اول تأسيسها.. ونرى اليوم انها بحاجة في ترميم واصلاح لتظل شاهدة على ان الموصل عصية على كل غاز ومعتد اثيم.. ونامل من المسؤولين الاستجابة لدعوتنا هذه.

من كتاب (شخصيات موصلية) للدكتور ابراهيم خليل

قادة الحركة الوطنية في الموصل من اليمين: ايوب العبد الواحد، سعيد الحاج ثابت، جميل الدفعي، ابراهيم عطار باشي، سليمان الصائغ

الريادة في المسرح العراقي

سليمان الصائغ انموذجا

يعتبر العديد ممن درسوا المسرح العراقي (المطران سليمان الصائغ) واحدا من الرواد البارزين في كتابة المسرحية العراقية.

وقد لعبت عوامل عديدة في دفع الصائغ الى الكتابة المسرحية والاجادة فيها خلال مرحلة مبكرة. يمكن ان نتبين ابرزها فيما يلي:

فلقد شهدت مدينة الموصل (التي ولد الصائغ ومات فيها) منذمطلع هذا القرن نشاطاً مسرحياً متصاعداً تحت تأثير دوافع مختلفة ولقد كانت الطوائف المسيحية ربما بسبب احتكاكها بالرهبان الدومينيكان الذين اسسوا لهم اديا في الموصل قد جرب على تقليد تقديم المسرحيات لغرض الافادة من ريعها في الاعمال الخيرية وبديهي ان تتسم الاعمال المسرحية التي كانت تقدمها هذه الطوائف بسمة دينية اخلاقية فهي لذلك تنسجم مع الاهداف العامة التي تنشدها هذه الطوائف ويتوخاها رجال الدين ولم يخل هذا النشاط الذي نهضت به الطوائف المسيحية من تنافس كان اثره ايجابيا على تطور المسرح.

وهذا يفسر لنا السر في ان العديد من كتاب المسرح الاوائل والمترجمين له في مدينة الموصل كانوا رجال دين او ممن هم قريبون من هذا المحيط.

وما من شك في ان المسرحيات حين كتب مسرحياته كان واقعاً تحت تأثير هذه الظروف التي اشرنا اليها فضلا عن الحافز الذاتي الذي كان يتجلى في حرص الصائغ على ان يكون وجها ثقافيا لامعا..يدلل على ذلك تنوع اهتماماته الثقافية بصرف النظر عن كونه رجل دين واهتمامه الواضح في النشر والتاليف (وسترد صورة ذلك بعدئذ) وواضح انه في مجرى التنافس على تقديم تحديد تحديد ثقافته ثقافته المسرحية فاذا اضفنا الى ذلك ان الصائغ لم يكتفي باللغة الفرنسية التي تعلمها في مدرسة الكهنوت (وكانت مكتوبة في فترات متقاربة) ذكرنا انفا ان عددا من رجال الدين المسيحين انصرفوا منذ مرحلة مبكرة الى كتابة المسرحية واحسب ان ذلك لم يكن ياتي اليهم بسهولة لولا انهم جميعا كانوا يملكون ان يقرأوا لغة اجنبية فمن المعلوم ان المدارس التي دروسوا فيها في مرحلة اعدادهم ليصبحوا كهنة كانت تدرس اللغة الفرنسية لعدة سنوات وعلى كل هذا الذين تخرجوا في هذه المدارس كانوا يملكون اذا ارادوا الاطلاع على الادب الفرنسي بحدود ماهو متيسر في تلك السنوات.

وواضح ان الصائغ تعلم الفرنسية وهو في المدارس الكهنوتية ومن المؤكد انه تابع القراءة فيها ففي مكتبته مئات الكتب الفرنسية تتوزع بين اللاهوت والتاريخ والادب وقد ترجم عن الفرنسية للمجلة التي كان يتابعها التي كان يصدرها خلال تلك الحقبة (مجلة النجم) كما ترجم مسرحية(هوراس) لكورنيه..

وتدلل ترجمته لمسرحية (هوراس) على تمكن من هذه اللغة يمكن للدارس استجلاء ذلك من خلال مقارنة المسرحية المترجمة بترجمات سواه للمسرحية نفسها .

وما من شك في ان تمكن الصائغ في اللغة العربية ساعده كثيرا على الترجمة بنجاح.

واحسب ان كورنيه كان المسرحي المفضل لدى الصائغ ان في مكتبته مجموعة مسرحيات كورنيه واذكر انه كان بين اوراقه اكثر من مسرحية مترجمة لكورنيه بقيت دون ان تطبع او تمثل انكر منها مسرحية(السيد)

لقد كانت معرفة الصائغ باللغة الفرنسية عاملا مهما في اهتمامه بالمسرح وفي تحديد تحديد ثقافته ثقافته المسرحية فاذا اضفنا الى ذلك ان الصائغ لم يكتفي باللغة الفرنسية التي تعلمها في مدرسة الكهنوت بل راح يتعلم اللغة الانكليزية لوحده ادركنا ان معرفته للغتين فضلا عن اتقانه اللغة الكلدانية القديمة وترجمته عنها كان عاملا مهما في تجربته المسرحية ان مجرد اطلاعه على نماذج من المسرح الفرنسي في تلك الحقبة المبكرة كان كفيلا بان يتيح له فهما اوسع للمسرح ومتطلباته وبعمق عدا ذلك من حسه المسرحي في انتقاء الحدس وفي البناء والحوار بل حتى في فهم بعض متطلبات الاخراج التي ينبغي للكاتب المسرحي

يضاف الى ذلك ان سليمان الصائغ برهن في السنوات نفسها على تمكن نسبي من الفن الروائي حين قدم عام ١٩٣٤ روايته الطويلة التي اسماها يزداندوخت وهي رواية تاريخية دينية عاطفية حضت بشهرة واسعه في الاوساط المسيحية وواضح ان هذا النشاط وفي حقبة محدودة محتسب للصائغ بما يعكسه من تاثيرات متبادلة في العمل الادبي والتجربة الفنية دع عنك انه عالج الشعر وترك بين اوراقه قصائد عديدة يمكن ان تزيد من فهم الدارس لادبه عامة ولمسرحياته بشكل خاص ..

ينبغي ان نشير بعد هذا الى ان الصائغ كان مؤرخا بل لعله لم يعرف اديبا ومسرحيا بقدر ماشتهر كمؤرخ ولعل ولعه بالتاريخ وانصرافه اليه هو الذي طبع اعماله الادبية بالطابع التاريخي وهو الذي دفعه الى ان يستقي اعماله الروائية والمسرحية من التاريخ العربي عامة والعراقي بوجه خاص والتاريخ مادة غنية وجد فيه الصائغ مصدرا ثراً وحاول ان ينتقي منها الحدث الاكبر دلالة والاوفر مبرهنا على ارهاف مزدوج للتاريخ والمسرح احسبه لم يتوفر لسواه من معاصريه في الموصل او في العراق خلال تلك الحقبة الى الباحث لايملك الا ان يعجب لقدرة الصائغ على تطويع الحدث التاريخي للحدث الفني وهو يقرا مثلا رواية(يزداندخت) ويرى مابناه المؤلف حدث تاريخي مقتضب حشد له شخصيات ومكانا تاريخيا وربطه عبر علاقات وحدث روائي متسع الاطراف ..

وقد زاد من قدرة الصائغ على كتابة العمل الفني لغة سهلة صافية تطاوعه في مختلف الاغراض وتستجيب له بما يناسب الموضوع سواء في المسرح او الرواية ام البحث التاريخي ان المتامل في اسلوبه ليكتشف ذلك وهو يقارن بين لغة الصائغ في المسرحية ولغته في الاغراض الاخرى حيث تتكيف لغته المسرحية لمتطلبات الحوار بشكل ملحوظ وتغدو اكثر بساطة وشفافية.

ولغة الصائغ متطورة يتجلى ذلك من دراسته عبر اعماله المسرحية مسرحية بعد اخرى حتى لنجدها في احسن صورها في مسرحيته المخطوطة شميراما ١٩٥٢ وترجمته لمسرحية هوراس ١٩٤٥ ويزيد من تأثير هذا كله ان الصائغ مارس الخطابة طوال حياته في مجاله الديني فقد كان يعتبر من ابرز الخطباء المسيحيين اداء ولغة ومضموناً وما من شك في انه اذ افاد من خبرته المسرحية في الخطابه فقد افاد بالقدر نفسه من خبرته المسرحية في الخطابة للكتابة المسلرحية والاخراج ذلك ان خطاباته غالبا ماتاخذ طابع المنلوج او الحوار وكان ذلك يعني انه كان ملزما بان يؤدي ذلك بما يقربه من صعيد الاداء المسرحي وكان اداؤه لذلك مؤثرا بحيث يعرف الذين سمعوه انه كان يستدر الدموع حين يشاء

ويقودنا هذا الى مزية اخرى ناجمة عما سبق تتمثل في ان الصائغ كان يخرج مسرحياته بنفسه (وكان عدا هذا يصمم الملابس والديكور) وقد اعطاه ذلك كمؤلف وهذا يعني انه حين كان يمارس الكتابة للمسرح كان في الوقت ذاته يتعامل مع مادته وهو يراها مخرجة ويقدر مزاياها ويكيفها وفق فهمها للاخراج وليس وفق فهمه للكتابة ومعروف انه مؤلف يمارس الاخراج كمبدأ هو اكثر توفيقاً في كتابة المسرحية ممن لا يلم بمتطلبات الاخراج وهذا في رأيي يفسر لنا السبب الذي جعل من مسرحياته اكثر مطاوعة للاخراج .

وفي ختام هذا يجدر بنا ان نشير الى قضية اخرى هي ان الصائغ طبع كل ماكتبه من مسرحيات مستفيدا من مطبعة الطائفة التي كانت تحت ادارته وبهذا لم تنحصر اعماله المسرحية في حدود المسرح بل تعدته الى مايمكن ان نسميه المسلرح المقروء وقد كان لذلك تأثير على على الثقافة المسرحية عامة وعلى المؤلف ايضا اذ شاع اعماله وجعلها اكثر تفاعلا مع المحيط

وقبل ان ننتقل الى جانب اخر في دراستنا لعمل الصائغ المسرحي سيكون مفيدا ان نتوقف عند الصائغ مخرجا فان ذلك كفيل بان يكمل الصورة الاولية التي اردناها لفهم العوامل التي صاغت نتاجه.

لقد اتيح لي ان اشهد اخراج مسرحية هوراس ١٩٤٥ كان الصائغ قد اوكل مهمة الاخراج الى السيد يعقوب رسام.

بسبب ان مشاغله لم تكن تسمح له كما في السابق للتفرغ للاخراج ولكنه مع هذا يشرف على عمل السيد يعقوب ويقدم ملاحظاته كما فعل الشي نفسه لدى اخراج مسرحية شميراما

في هوراس حدث الصائغ شكل الديكور شرفة في قصر نبيل روماني تطل على بساتين روما ويلوح فيها من بعيد البانثيون ثم على حافة الشرفة تمثالان احدهما ل جوبيتر والاخر لفينوس وتتوزع في المسرحية اعمدة رومانية ضخمة على الجانبين ثم صمم الملابس واعطى ملاحظات للممثل

لم تكن شائعة في الثلاثينات.

تعتمد مسرحية مشاهد الفضيلة قصة يوسف بن يعقوب كما وردت في العهد القديم اننا نتابع في المسرحية السياق نفسه والاحداث نفسها بل اننا لنتابع الاشخاص انفسهم فهناك يعقوب واولاده اضافة الى ثلاثة من تجار مدين اما في مصر فثمة قرعون و فوطيفار وامراته زليخة ورئيس السقاة ورئيس الخبازين وهم شخصيات وردت في العهد القديم واضاف المؤلف الى هذا كله اثنين من رجال البلاط واربعة من رجال بلاط فوطيفار ورئيس الحكماء وكبير السحرة وجنديا ثم اخيرا الوكيل .لقد وجد الحدث الوارد في العهد الجديد كافيا فالتزم به ووجد اولاد يعقوب اكثر عددا مماتحملته المسرحية فابقى منهم من وجدهم اكثر حيوية اما في مصر فقد اضاف مايقتضيه الحدث المسرحي ونحن لايمكن ان نتصور حاجة للتلاعب في الحدث مادام وافيا ولا في اختراع شخصيات لامكان لها في البناء.

تلي مسرحية مشاهد الفضيلة مسرحية الزباء وهي مطبوعة عام ١٩٣٣ وسنعرض لها بالتفصيل بعد قليل ثم مسرحية الامير الحمداني المطبوعة ١٩٣٧

وقد استقى الصائغ احداث هذه المسرحية من تاريخ الموصل في القرن الرابع الهجري وما من شك في ان لكتابته لتاريخ هذه المدينه ولكونه موصليا اثرا في اختيار هذه المادة التاريخية (انها تدور حول المشكلات التي كان يعانيها ناصر الدولة مؤسس الدولة الحمدانية في الموصل والجزيرة وحلب بعد وفاة اخيه سيف الدولة وتعرض الحمدانيين في الموصل للمؤامرات والدسائس التي دبرها ابن رائق لحساب البويهيين في بغداد بالتعاون مع جند الديلم ثم نزاع ابناء ناصر الدولة عندما هلرم واضعفته متاعب الشيخوخة .

وتقع المسرحية في ثلاثة فصول وقد ساعد تعدد هذ المشاهد وتنوعها الى بث الحركة والحيوية فتوالت الاحداث وتعددت ازمنة حدوثها وامكانها وارتبطت بعضها باتقان واضح وقد ادخل عليها المؤلف بعض المشاهد الثانوية دون الابتعاد عن الموضوع الاساسي وادخل الفكاهة الخفيفة في بعض المشاهد وقد اجاد المؤلف تصوير الشخصيات فكان من الطبيعي ان يولد احتكاك هذه الشخصيات واصطدام نوازعها ازمة تثير الاهتمام وتمد الاحداث بالحيوية والنشاط.

ويذهب الدكتور عمر الطالب الى اعتبار مسرحية الامير الحمداني افضل مسرحيات الصائغ ويرى انها تمتاز بالتركيز على الاحداث والشخصيات كما تمتاز بخفة الحوار .

واحسب ان مسرحية الحمداني يمكن ان تعيد الى ذهن القارئ مسرحية الملك لير لشكسبير فما عناه الملك لير من تامر بناته على الحكم يشبه الى حد ما معناة الناصر الحمداني ممايدفع الى التساؤل ان كان الصائغ قد اطلع على مسرحيات شكسبير ! انقطع الصائغ بعد الامير الحمداني عن كتابته المسرحية حتى عام ١٩٥٢ فكتب مسرحية يمانة نيذوى التي تجري حوادثها في نينوى ايضا الموصل.

بطلا هذه المسرحية شميراما والملك نينيب في بلاد اشور لقد اغتصب قائد الجيوش فولوك شميراما من مربيها سيماس وقتل خطيبها خليا ثم انقذت شميراما جيوش نينيب الملك فاحبها وتزوجها واخلص لها ولكن احد حواشيه من المجوس نجح في تدبير مؤامرة اوهم فيها الملكة ان زوجها يخونها فدست له السم ثم قبل ان يموت تنكشف المؤامرة حيث لامجال للتلافي ماوقع فتتناول شميراما السم ايضا وتموت مع زوجها كان يمكن ان تقدم مسرحية يمامة نينوى فرصة كبيرة لدارس مسرحية الصائغ لو امكن البت في صحة انه الفها ولم يعمد الى اعدادها باعتماد كبير على رواية او مايشبه ذلك والى ان يتم جلاء ذلك تكتفي بالاشارة الى الفرق بين ادارة الحوار والبناء بل حتى الى الجراءة في رصف المشاهد وتنويعها هذا الفرق الذي نتج دون شك عن خبرة لابد توفرت للمؤلف بعد عشرين عاما من تاليفه لمسرحية الامير الحمداني .

ساتفرغ في هذا القسم من من البحث عن الحديث عن مسرحية الزباء لانني على خلاف ماذهب اليه الدكتور الطالب اعتقد انها اكثر مسرحيات الصائغ تكاملا على مختلف الاصعده.

يذكر المؤلف في الصفحة الاولى عن المسرحية الزباء مأساة تمثيلية تاريخية ذات خمسة فصول ويردف بذلك قوله جرى تمثيل هذه الرواية على مسرح مدرسة الشمعون الصفا بالموصل لفائدة بناية المدرسة المذكورة ثم تمثيلها في بغداد وطلبت مؤخرا للتمثيل في الشام

ثم يقدم بعد ذلك للمسرحية مقدمة تاريخية تستوعب سبع صفحات ولا بد لمن يريد ان يدرس مسرح الصائغ ان يتوقف عندها ليتامل كيف يتعامل المؤلف مع التاريخ لدى كتابة مسرحياته ماذا ينتقي ؟ ولماذا؟ وكيف يتعامل مع الشخصيات التاريخية ماذا يطرح منها ماذا يضيف اليها كيف يخرجها من اطارها التاريخي وكيف يربطها بالعصر ليعيد اليها حيويتها

يخبرنا الصائغ منذ البدء ان هناك تضاربا في الاراء حول الزباء تاريخيا ثمة ماروا مؤرخو العرب القدماء ومايستقيه المختصون العصريون من اثار تدمر ومن المؤلفين القدماء واليونان والرومان ويشير بعد هذا الى التناقض بين الروايتين وينص قائلا انه سيورد الاراء المتضاربة في هذا الموضوع حتى يتبين لن اراد اقصاء الشقين المخالفين ان روايات المؤرخين العرب في مملكة تدمر الشهيرة ليست اسطورات او اقاصيص فقد لعب الخيال فيها دورا هاما وقد اثرنا اختيار الاراء العربية اساسا لروايتنا التمثيلية رغبة لوقائعها الغربية ويضيف وها اننا نلخصها للقارئ الكريم ثم نجتزي بايراد اراء المحققين المحدثين ضنا بالحقيقة التاريخية من التشويه والتلاعب

لقد اختار المؤلف الاراء العربية اساسا لمسرحيته غير ابه بما يراه حقيقة تاريخية بل منساقا وراء وقائع الرواية العربية الغربية وهذا يعني انه انحاز من التاريخ الى الفن ودون ان يفرط بالتاريخ وقد حرص على تقديم الرواية العربية ومايراه من وصفهم بالمحققين المحدثين .

ولاتعنينا هذه المناقشة للروايتين بقدر مايهمنا التركيز على الرواية العربية التي ماجاء في وصف الزباء بان العرب لم يروا في نساء عصرها اجمل منها ولا اقوى حزما واكمل عقلا وهي عدا ذلك كانت بتولا وترغب في الوقائع والحروب ونقود الجنود

واذ يستقر الامر للزباء ويقوى جيشها تروح تستعد للاخذ بثار ابيها وحين يعز عليها ذلك تفكر بان تاخذ عدوها بالحيلة فتستدرجه اليها فياتيها رغم نصح وزيره قصير بالا يستجيب لها وحين تتمكن منه تقتله بعد موت جذيمه يخلف ابن اخته عمرو الذي راح بدوره بالانتقام لخاله مستعينا بدهاء قصير وزير جذيمة فيتدبر الاثنان وسيلة لذلك بان يذهب قصير الى الزباء مدعيا بان عمرو تخلى عنه واذاه وضربه...

فتقتنع الزباء بعد تردد بصدق قصير، واذ تأتمنه، يعمد قصير الى حيلة يستطيع من خلالها ان يأتي بعمرو مع رجاله ويدخلهم الى قصر الزباء التي ما ان تشعر بفشلها حتى تشرب السم، مؤثرة ان تموت بيدها لا بيد عدوها...

تلك هي الخطوط الاساسية للرواية العربية... مع تفضيلات اخرى افاد منها الصائغ في بنائه المسرحي، من ذلك ((النفق)) الذي تقول الرواية العربية ان الزباء اعدتة وربطت به حصنيها المتقابلين على الفرات..

فما الذي استهوى الصائغ في هذه الرواية؟ وكيف تعامل معها . مادة الرواية العربية ، كما يرى ذلك واضحاً في ما قدمنا، تتضمن حدثا مسرحياً غنياً. انها تذكرنا بالمادة المسرحية التي بنى عليها كثير من المسرحيين تراجيديتهم.. وبشكل واضح، الحكايات التي اعتمدها شكسبير لكتابة هملت وماكبث ويوليوس قيصر.

ثمة صراع يجري بين قطبين ملكيين يحركه الثار والانتقام، وتتحرك من اجله المكائد وتعقد طاقتها ..وتدبر من اجله المكائد وتعقد المواثيق ويسفك الدم ولن يهدأ الصراع الا وقد اودى بالقطبين الملكيين

ويزداد هذا الصراع حدة حين يعمد المؤلف تحت تاثير وعيه المسرحي الى افتراض علاقة حب بين القطبين العدويين جذيمة يحب الزباء

ان هذا الافتراض يكسب المادة المسرحية بعدا انسانيا ويعمق من طاقة الحدث على التفاعل ويزيد حدة وارهافا

الملك يحب الملكة لكن الملكة تسعى الى قتل الملك الذي يحبها انتقاما منه لانه قتل اباه في الحرب وهي تتوسل حب الملك اليها لتستدرجه اليها وتقتله فهو غدر استخدم الحب وسيلة وبهذا فهو يقتضي عقابا وانتقاما بمستواه

واوضح ان قضية الحب المضافة الى الحدث لاتزيد من حدة الصراع في الحدث المسرحي حسب بل تتعدى ذلك بان توسع من افاقه واحسب مثلا ان الصائغ لو افترض حبا متبادل بين الملك والملكة- ولم يجعل الحب من طرف واحد جذيمة يحب الزباء بل جعل ايضا الزباء تحب جذيمة ولكنها مدفوعة بحكم العرف السائد والتقاليد الى الثأر لابيها من حبيبها لو اكتمل ذلك الافتراض اذن لاتخذ الحدث المسرحي في مسرحية الزباء وجها اخر اكثر تاثيرا ..

واذ وجد الصائغ في الرواية العربية مادة غنية وحدثا مسرحيا متميزا غريبا فقد قدم له هذا الحدث في الوقت نفسه شخصيات ذات فرادة مسرحية ايضا

الشخصية الرئيسية الزباء التي اطلق ويذكر الصائغ نقلا عن المصادر العربية

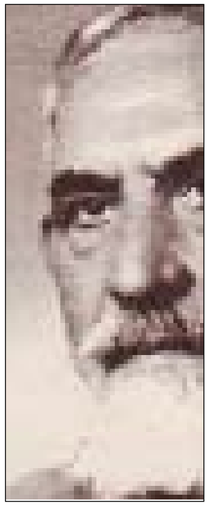

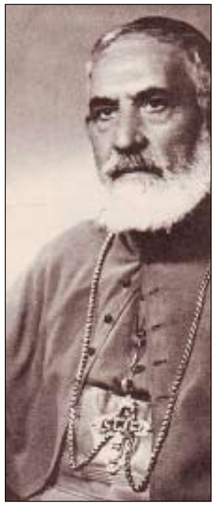

اسمها على المسرحية ايضا انها تقدم لنا ملكة وملكة جميلة ايضا لم ير في نساء عصرها اجمل منها وملكة قوية لا اقوى حزما ولا اكمل عقلا ترغب في الوقائع والحروب وتقود الجيوش

ليس هذا فحسب بل هي الملكة الجميلة القوية الحازمة العاقلة مانزال بتولا

ولفهم شخصية الزباء من خلال هذه المعطيات الاساسية لابد من ان نضع امامنا اسئلة تتعلق بطموحها واحلامها وماتنطوي عليه في اعماقها كملكة وكامراة وامراة لم تتزوج ثم وامرأة محبوبة ثم تسعى الى الثأر بل الى قتل من احبها

ان نفهم سعيها الى الحصول على مااردته او سعت اليه

ونفهم اعماقها بعد ان حصلت على مااردت واصبحت عرضة للعقاب هل اراحها ذلك ؟ هل احزنها؟ هل اقلقها؟

اما احست ندما لقتلها ملكا احبها ؟ هل كان في قتلها لهذا الملك المحب طموحا سياسي رغبة في التخلص من سلطة قوية طمع للسيطرة على ملكة؟

وعدا هذا ؟

الم يخطر ببالها ان تبادله الحب ؟ او تكون عللى الاقل شريكة له فتجمع دولته وقوتها الى قوته؟ ناسية في ذلك ثأرها في سبيل طموحها ..

واين هذه الملكة العذراء في الرجال من الحب ؟

اين الرجال منها ؟

ان شخصية كهذه في ابعادها النفسية والتاريخية والفنية لابد تذكرنا بكل الشخصيات النسائية في التاريخ والفن كبليوبطرا ،بسيراميس، ببلقيس الخ...

وازاء شخصية الزباء وفي مواجهتها شخصيتان بل ربما ثلاث شخصيات الملك جذيمة ووزيره قصيلر ووريثه عمرو...

ثلاث رجال امام امراءة ...

ولكل منهم ملامحه ودوره بل انه دور متكامل فكل منهم مستمر ومتكامل في الاخر حتى ولكأنهم في مجموعهم يشكلون شخصية واحدة توازن الزباء ..

جذيمة ملك قوي حكيم وشجاع شاد دولته واحل بها الرفاء ولكنه مع ملكه وقوته محلروم من الاولاد

وتعويضا عن هذا الحرمان سلا الملك بأبن اخته عمرو ووضع فيه امله بأن جعله وريثا لهذا الملك

ومعالمه لهذا الملك وقوته وشجاعته ومن ثم حرمانه يقع جذيمة في حب امراءة ملكة قوية ومنافسه تنطوي على رغبة في الثأر منها لانه قتل ابيها في احدى المعارك

وان عليه في هذا الحب ان يتجاوز رغبة حبيبته في هذا الثأر بأن يقنعها بقبول حبه وتوفير دمه ويكن في ذلك اجتماع مملكتين وزيادة قوتهما ورفاهيهما وهو حافز معقول اكثر عدلا ومنطقا من حافز الثار او حافز الحب وكلاهما قد يكون اكثر اغراءً..

وينبغي ازاء ذلك ونحن ندرس شخصية جذيمة ان نفهم الوضع النفسي الذي يعيشه ملك توفر له ماينبغي ان يتوفر لحاكم عظيم ولكنه محروم من الاولاد ومن الحب

اين مكان الحب من ملك كهذا؟

ايهما اقدر على اسيعاب سلوكه ؟عقله ام قلبه؟

ولماذا يختار ملك مثله حبيبته الزباء وليس سواها ؟

ولماذا يختار سوى الزباء ومن مثلها؟

ولماذا هي وهي عدو وطالبة ثأر ؟ بماذا يملك ان يغطي رغبته في الثأر .. بالصدق ام الحيلة؟ بالضعف ام بالقوة؟ ايضعف الملك ان يكون عاشقا ام يقويه ؟ وبالتالي مايعنيه حب ملك مثله داخل هذا الحدث؟

سينفاد جذيمه الى حبه لانه بحاجة الى هذا الحب فهو يعادل كل ملكه وجبروته ومن دون هذا الحب اليأس والنحس ذلك قدره وان غريمته او حبيبته لتفهم ذلك فيه فتقوده عن طريق ذلك الحب الى مصيره ويلبي...

ويفهم هذا الحب وريثه ووزيره لكن ذلك الحب لايمكن ان يغير من الحب حتى يغدو مصيلرا فلقد حسم الملك الامر واختار ان يراهن بين الحب والموت واذ ينتهي جذيمه ويقتل الملك يكون الدور لوزيره قصير ان قصير هو الوزير الثاني لجذيمة بل لعل قصير هو الشخصية الرئيسية بعد الزباء فهو يشغا مساحة من الحدث ومن المكان والزمان فيه..

وقصير الوزير يشغل منصبه تماما انه المخطط والمنفذ وهو الناصح والحكيم يفعل ذلك بوعي واخلاص ووفاء

ولو كان لرأي قصير ان يسود دائما اذن لما اتاح للزباء ان تتمكن من غريمها فقصير يعمل بوحي نكائه وخبرته ووفائه انه عقل جذيمه حين سيطر عليه الحب هو عقل عمرو حين سعى الى الانتقام ..واذ فشل في تجنيب ملكه الموت فهو لم يفشل ان يقود الزباء الى الموت وباصرار وحزم حتى اننا نتسال ترى ماذا لو لم يكن لجذيمه وزير كقصير وماذا لو لم يكن الى جانب عمرو وهو يسعى الى الانتقام بل ماذا لو لم يكن قصير وظل عمرو بايدي مختطفيه من اللصوص .

ان قصير في واقع الحدث هو المعادل الحقيقي للزباء لقد كان كفواً لهذا وندا.

وهي ملكة وهو وزير واننا حين نريد ان نتبين موقعه لانملك الا ان نقارنه بوزير الزباء ابن هوثر فنرى الفرق بين وزير عظيم ووزير لملكة عظيمة لاتكاد تبين له شخصية فهو ليس اكثر من وزير عادي لاتميزه مسحة من قوة او عظمه ...

وقصير الوزير فوق ذلك انسان مستعد للتضحية في سبيل مايريد انه يركب المخاطر يبحث عن عمرو حين اختطفه اللصوص حتى يجده وهو يصحب جذيمة الى الزباء رغم انه واثق ان مكيدة تنتظره هو وسيده لها ويصدق ظنه ويكاد يلقي حتفه لولا ان يفر من الطوق ويقطع الطريق ويقطع الطريق الى بلده هاربا وهو في سبيل الثار الى سيده ولايتورع الى جدع انفه ومساذاك بامر هين عند العربي او عند وزير عربي ويذهب الى الزباء راكبا مخاطر جديدة في سبيل الانتقام ..

حتى يبدو لنا انه لولا قصير لما اتاح لعمرو وحده ان يخطط وينفذ الانتقام .

وقصير حكيم بعيد النظر حتى ان ملاحظاته التي كان يسوقها عن الاحداث اخذت مجال المثل او الحكمة من بعده (لامر ما جدع قصير انفه) (لايطاع لقصير رأي) الخ ..

اما شخصية عمرو فتبدو ضعيفه قياسا بالشخصيات الاخرى انه يبدو ضعيف الحيله قد وضع اعتماده على خاله ومن بعده على قصير ومن ردود فعله ازاء الاحداث لاتتسم بالنضج بل هي انفعال

لا اثر للتجربة وذلك مبرر بسبب صغر سنه ونقص تجربته قياسا الى خاله الملك والى وزيره ونحن نراه مترددا في اللحظة الاخيرة امام الزباء بحيث ضيع على نفسه فرصة قتلها فماتت وهي تتجرع السم مرددة قولتها المشهورة بيدي لا بيد عمرو !

واذ تقدم المسرحية عمرو على هذا الشكل فهي في الواقع لاتضعف العمل المسرحي بل تزيده قوة ثمة في الشخصيات تمايز ضروري لانه تمايز الحياة بين شخصيات قوية وشخصيات اقل قوة ثم بين شخصيات قوية يصيبها الضعف واخرى ضعيفة تستمد قوتها من الحدث...

وقد اضاف الصائغ لهذه الشخصيات شخصية لها وزنها في المسرحية ممثلة بطريقة كاهنة الزباء لقد قدمها لنا في قصر الزباء تتطلع لسيدتها الغيب وتحاول الدفاع عنها ضد المتامرين عليها في وقت ندرك فيه انها كانت ذات يوم مرضعه لعمرو كما ندرك انها ليست راضية عن فكرة الزباء حين قتلت جذيمة غدرا باسم الحب ..

انه جميعه يجري في قصر الزباء وينتهي بموت الزباء وهو يتضمن فصلين في الفصل الاول نتابع قبول الزباء للجوء قصير واعتمادها عليه.

اما فبي الفصل الثاني ، فنتابع اكتمال حلقات المؤامرة ودخول عمرو الى القصر ثم المواجهة بين الزباء وعمرو حتى تناولها السم..

ولا يمكن فهم هذا التقسيم في البناء الا من خلال فهم الاسلوب الذي تسلسل فيه الحدث وتكامل على اساس من تتابع الصراع واحتدمه. وان البناء المسرحي هو مجمل صراعات متابعة ذلك كما يلي:

الفصل الاول: الصراع بين عمرو واللصوص صراع بين جماعة عمرو واللصوص.

الفصل الثاني:صراع جذيمة ازاء مشاكله: حرمانه من البنين .. فقده لعمرو .. حبه لزباء.. فقدانه لصنمه ..

صراع جذيمة ازاء دعوة الزباء صراعه ازاء تحذير قصير.

الفصل الثالث: صراع عمرو ازاء توقعه لمصير جذيمة.صراع عمرو ازاء الرغبة في الانتقام .

الفصلان الرابع والخامس : صراع الزباء لقتلها جذيمة.صراع الزباء ازاء حقيقة قصير. صراعها ازاء تحذيرات الكاهنة صراعها ازاء عمرو .

صراع عمرو بين قصير والكاهنة .

وتتداخل مع هذه الصراعات الاساسية صراعات ثانوية تزيد من تزيد من الصراعات الرئيسية حدة.. ونذكر من ذلك هذه الصراعات التي تجري وفق سياق الحدث.

الصراع الذي يعانيه قصير ازاء اصرار الملك على السفر الى الزباء.

الصراع الذي يعانيه الكاهن في قضية قراءة الغيب لعمرو.

صراع كاهنة الزباء مع الوصيفة.

صراع الكاهنة مع نفسها في الانحياز الى جانب عمرو او جانب الزباء.

الصراع بين قصير وطريفة حول مصير الزباء..

لا ريب ان تركيب هذا الصراع ، في بناء المسرحية يشكل اساساً مهما ، لا بد من متابعته بالتفصيل – لولا ان المجال لا يسمح بذلك.

((امتاز حوار الصائغ بالرشاقة والتركيز وحسن التوزيع .. وقد وزع الصائغ في الحوار بين المونولوج والحديث العادي توزيعا جيدا وجميلا .)) ولعل في ما اوردناه من امثلة ونحن نبحث عن البناء في مسرحية الزباء يكفي لاعطاء فكرة كافية عن هذا الرأي . واحسب ان الحوار عند الصائغ يزداد براعة كلما مال الى الجمل القصيرة . وهي تتردد في موقف متوتر بين شخصيتين او اكثر.

وهو ذا جذيمة وقد نفذ صبره وضاق صدره لمل يحيط به من نحس – ينادي حاجبه مسعود ويساله .

جذيمة: .. ايها الحاجب .

مسعود: مولاي.

جذيمة: الم يبلغك خبر عن قصير؟

مسعود: كلا يا مولاي .

جذيمة : الم ياتينا قادم من اياد؟

مسعود: كلا..

جذيمة : الم يعد رسولنا من شابور الفارسي؟

مسعود: كلا

جذيمة: (بحدة) اذهب ز كلا..كلا.. ماهذا النحس ايها المشتري العظيم.

اننا في هذا المقطع من الحوار بالجمل القصيرة .. التي لاتزيد عن سؤال يجاب عليه ب (كلا) نلاحظ حساسية وتمكنا .. لا تاتي الا لن جرب العمل المسرحي وعرف كيف يمكن ان تلعب جملة واحدة او كلمة واحدة من خلال التكرار على تصعيد حالة الو الكشف عنها...

ومثل هذا نراه ايضا في الحوار الاخير بين عمرو و قصير وطريفة قبل ان تقتل الزباء نفسها . ونراه في كل مسرحيات الصائغ. انه يتخذ هذه السمة كلما اتخذ الموقف طابعا متازما . هالصائغ يدرك انه لامجال للجمل الطويلة حين يبلغ الانفعال اشده ..

وتبدو براعة الصائغ ايضا في ما يمكن ان نسميه المونولوج ..

ففي هذا المونولوج جيشان افكار داخلي تصطرع فيه الخواطر والعواطف :يمكن ان نرى ذلك مثلا في حديث الزباء الى نفسها وهي تتامل صور عمرو التي عاد بها الرسام من الحيرة .. ها هي تتاملها صورة صورة وبينما تفعل ذلك تتقلب افكارها مع حركة تقليب الصور ..

الزباء – (تدخل وبيدها رسوم عمرو .. فتنفرس فيها واحد واحد .. وتقول) ويا لك يا ابن عدي . اذا كانت الالهة قد انقذتك من ايدي اللصوص فلن تسلم مني . سلبت راحتي واقلقتني . انت انت (تخاطب الصورة). فكن على حذر مني . صرعت خالك الجبار. فمن تكون انت . ايها الشاب الغر. ساحطم قدرك الرشيق واعفر خدك النضير (تتامل الصورة) ولكن لا لا . . ان نظرتك الهادئة الساكنة تدل على روحك الخفيفة تابى الدنيا وان ملامحك كلها تنبئ على كبر نفس ورفعة قدر الا ان دافعك يحملك على الشر تطرق الحراس كثيرون افتنزل الينا يابن عدي (ترمي الرسم)

هذا المقطع يمكن ان يعطي صورة كاملة عن طبيعة المنلوج عند الصائغ والذي نستطيع ان نتبين بعض خواصه كما يلي :

فثمة التنويع بين طبيعة الجمل اننا في هذه الاسطر القليلة نتابع السياق هكذا جملة دعائية نداء تقرير خطاب امر استفهام نداء تهديد نفي تاكيد استفهام نداء

وواضح ان مراوحة بين هذه الاساليب كفيلة ابتداء في ان تكسب الاسلوب حيوية بصرف النظر عن كون المادة مسرحية ام سواها وطبيعي ان المادة المسرحية هي احواج الى التنويع والتلوين وتغدو هذه الحاجة اكثر اهمية حين يكون هذا التنويع التي تعيشها الشخصية ..

ومن هنا فان المقطع الذي قدمناه يكتسب طاقته من هذا الترابط بين حالة الزباء ولغته النفسية وحيث ان التناقض النفسي الذي تعيشه هو دفقات ذهن حساس فالنفة على قدر كل دفقة مقطعة وقصيرة اشبه بتنهدات صدر ضيق قلق انها لاتطول الا حينما تحاول الافكار ان تهدأ خاطرا مضطربا عندما تحاول الزباء ان تستجلي من صورة عمرو طيب خلقه بما يبعد عنها ولو الى حين شر انتقامك (ان نظرتك الهادئة) حتى(كبر نفس ورفعة قدر)

ويتعكز المنولوج باسره على الخطاب ولهذا يعتمد اسلوب النداء(يابن عدي انت... انت.. ايها الشاب... يابن عدي)

وفي استعمال النداء رغبة دفينه تعانيها الزباء في ان تألف عدوها او تعتاد حضوره في ذهنها او تتجاوز الخوف منه عن طريق الاقتراب منه..

اننا نستجلي في هذا المقطع تراوحا بين التهديد والاطمئنان وبين الاعتراف والمكابرة (ويحا لكن يابن عدي لن نتسلم مني سلبت راحتي كن على حذر مني ساحطم قدك الرشيق الخ ...) ثم (ولكن لا ... لا... روحك تأبى الدنايا ...ملامحك تنبئ عن كبر نفس) ثم (الحراس كثيرون افتنزل الينا من السماء)

واذ كان المنولوج نجح في التعبير عن الحالة النفسية للبطلة من خلال ماقدمناه فانه في الوقت نفسه قد جاء متسقا مع الحالة النفسية للزباء ان الجمل القصيرة والمتقطعة والمتناقضة هي باتصال معبر مع حركاتها وهي تقلب صور عدوها بين يديها والتاثير الذي تتركه كل صورة في نفسها حتى اذا تصاعد التناقض في نفسها قالت الجملة الاخيرة افتنزل الينا من السماء يابن عدي وهي ترمي الصور من بين يديها كانما لتفرغ من عدوها او لتقضي عليه

الحوار غالبا لصيق بالشخصية يميزها او يتميز بها او يدل عليها فلكل شخصية مستوى للحديث او اللغة ونحن مثلا نحس جيدا بالفرق بين اللغة التي تتحدث بها الزباء واللغة التي تتحدث بها وصيفتها ونلاحظ فرقا بين طريقة وجذيمة في الكلام واسلوب عمرو بل اننا نجد الفرق بين لغة وصيفة الزباء وكاهنتها وكاهن جذيمة تختلف عن لغة كاهنة الزباء

بل ان لغته وهو يقرأ الغيب هي غير لغته وهو يتبادل حديثا عاديا ومن هنا مثلا دخل السجع في كلامه وهو يتظاهر بالنبوءة امام عمرو السجع .. التقوقع، الغموض ، والايجاز .

ولغة المسرحية عامة سهلة وبسيطة وخالية من التعقيد والبهرجة بل يبدو انها بعيدة عن اي مسحة شعرية فلا تأنق ولا صنعة الا ماندر على ان الشعر والتانق سرعان مايتسرب الى اللغة متى دعت طبيعة الشخصية او الموقف الى ذلك لناخذ مثلا رسالة الزباء الى جذيمة وهي تستدعيه فيها وتضرب له العقد والمواثيق

(..ثم بعد ان غزواتكم العظيمة وحروبكم الهائلة وانتصاراتكم الباهرة قد طبق ذكرها الخافقين وتحدث بها ركبان الفرس والعرب وقد بلغني عن حزمكم وسطوتكم وعزمكم وصولتكم وباسكم ومراسكم ، ما رغبني في الاقتران بكم كي استعين بسطوتكم على دفع الطامعين ببلاد ...الخ...)

ان اللغة التي تصطنعها الزباء هنا مدروسة ومتأنقة وكيسة بل انها تختلف عن لغة الزباء التي تتداول بها احاديثها وكذلك طبيعي فهي عدا عن كونها لغة ملكة انها لغة رسالة من ملك الى ملكة ورسالة من نوع خاص تتضمن فخا وشركا..

ويحرص الصائغ على ان يضع تعليمات داخل الحوار ولكنه يقتصر بذلك مكتفيا بايراد الملاحظات التي يرى انه لاغنى عنها راجع التعليمات التي وضعها في المقطع الذي قدمناه واقتصار المؤلف بذلك يدلل على وعي بالعمل المسرحي فهو لايريد ان يثقل النص ولا ان يقيد المخرج الذي يتصدى لاعماله الا بما يراه ضروريا .

ويقدم المؤلف كل فصل ومشهد بتحديدات عامة لطبيعة المسرح

ففي الفصل الاول حيث اسر عمرو ينص (يمثل المسرح مغارة لصوص فيها ثلاث من المداخل من الوسط واليمين ومن اليسار وعلى المسرح اسئلة عتيقة واثاث مبعثر)

ونلاحظ ان الصائغ يتابع المداخل التي حددها فيميز دخول الشخصيات منها ويقدم الاوصاف بالطريقة نفسها للفصول الاخرى سواء في قصر جذيمة ام قصر الزباء.

على ان مايستوقف الدارس وهو يتابع الحوار في مسرحيات الصائغ هو اعتماده مقاطعة الحوار بمقاطع شعرية اختار بعضها وكتب بعضها بنفسه ولانحسب هذه المقاطع تقدم كثيرا لصياغة هذه المسرحيات ان لم تكن تخلو بالسياق والانسياب وقد بقي الصائغ متشبثا بهذا التقليد حتى في اخر مسرحياته (يمامة نيتوى) التي كتبها في الخمسينات ولا احسبه في ذلك الا متتبعا تقليدا كان سائدا في المسرحيات المقدمة انذاك .

ويثير الانتباه عدا هذا بعض الاخطاء اللغوية التي تتبعثر في سياق النص مالبثنا ان رايناها تقل وتنعدم في مسرحية يمامة نيتوى وترجمة مسرحية هوراس .

يبقى ان نشير بعد هذا ، الى ان مسرحيات الصائغ تكاد تكون غير متوفرة للدارسين لقد مضى على طباعتها مايقرب من نصف قرن وانه لامر مفيد بل لعله ضروري ان يصار الى اعادة طبعها هي وسواها من المسرحيات الرائدة لتكون في متناول الدارسين .

هذا المقال الشائق نشرته مجلة آفاق عربية سنة 1988. وهو دراسة نقدية لمسرحيات سليمان الصائغ

الصائغ مع مجموعة من رجال الدين مع الملك فيصل الاول

صورة لأسرة الصائغ عام ١٩٢٠ (عن مذكرات الراحل نجيب الصائغ)

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

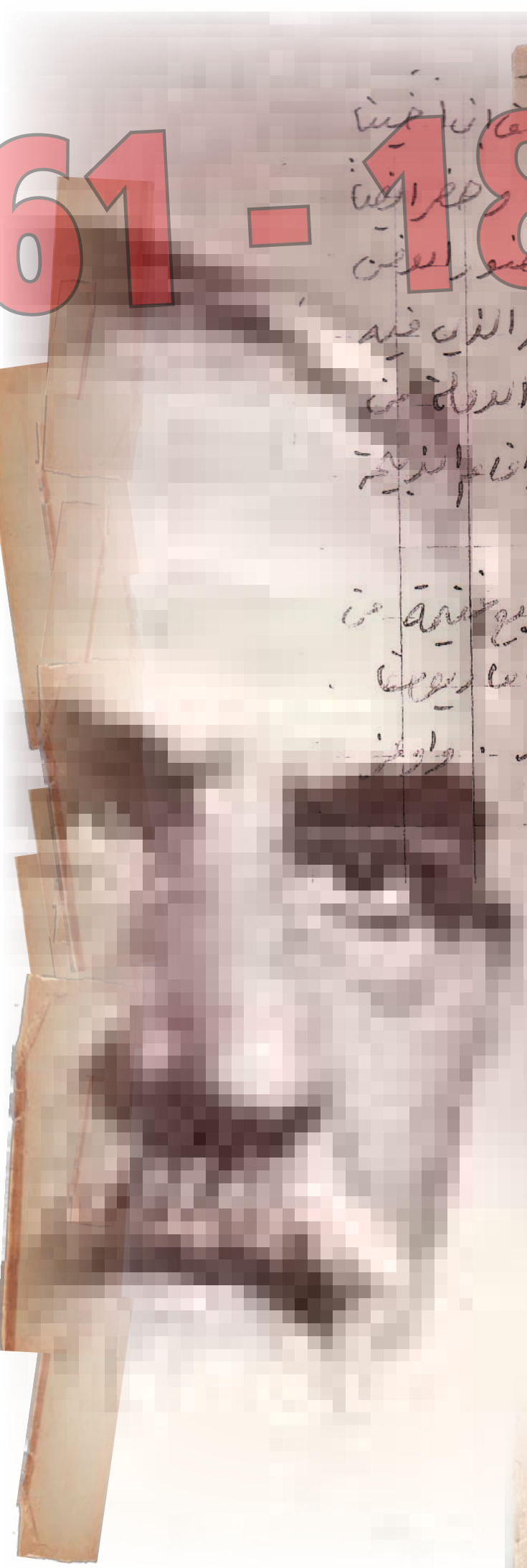

سليمان الصائغ (1886 - 1961)

ولد القس سليمان صائغ في الموصل عام ١٨٨٦ في اسرة متوسطة وانخرط في سلك الدين وتدرج في عمله الكنسي حتى أصبح مطراناً، وكان يجيد اللغتين الإنكليزية والفرنسية إلى جانب اجادته اللغة العربية، وكان مولعاً بالادب والتاريخ فأنشأ مجلة النجم الشهرية في الموصل عام ١٩٢٨، وشجعت هذه المجلة العديد من الاقلام الشابة الجادة فضلاً عن تكريس صفحاتها للدراسات الدينية والتاريخية حتى توقفت عن الصدور عام ١٩٥٥. الف في التاريخ كتاب (تاريخ الموصل) ويقع في ثلاثة اجزاء، والف رواية (يزداندخت)عام ١٩٣٥ اما في المسرح فقد الف اربع مسرحيات: مشاهد الفضيلة، الزباء، الامير الحمداني، يمامة نينوى بين عامي ١٩٣٠-١٩٤٨، وترجم مسرحية (هوراس) الكورني. وله العديد من الاعمال الابداعية والدراسات منشورة في المجلات العراقية ولا سيما مجلته النجم مثل قصتيه الطويلتين (على عهد طيباريوس) و(الثبات حتى الموت)، وتوفي عام ١٩٦٥، ويعد كتابه (تاريخ الموصل) ١٩٢٨ من أهم المصادر التاريخية التي كتبت عن هذه المدينة العريقة.

يبدأ تعامل سليمان صائغ مع الرواية عندما نشر قصته الطويلة (على عهد طيباريوس) وتدور حول شروق المسيحية، وهي قصة تعليمية وعظية تتفق ووظيفة الكاتب الدينية، ومثلها قصته الطويلة الثانية (الثبات حتى الموت) وهي تحدثنا عن انتشار المسيحية في بلاد ما بين النهرين وفارس وما قاساه المسيحيون من آلام في سبيل عقيدتهم.

كما يعد الصائغ من ابرز كتاب المسرحية التاريخية في العراق واكثرهم إنتاجاً، ولعل معرفته باللغتين الإنكليزية والفرنسية واطلاعه على ادابها، كانت في طليعة العوامل التي زودته بخبرة مسرحية جيدة وقد نشر في مجلته (النجم) حلقات مسلسلة من مسرحياته بين عامي ١٩٣٠-١٨٣٨، ثم اخرجها في كتب فنشر (مشاهد الفضيلة)عام ١٩٣١و (الامير الحمداني)عام ١٩٣٣و(الزباء)عام ١٩٣٣و(هوراس)عام ١٩٥٢،اما مسرحية (يمامة نينوى)فلم يكتب لها الظهور الا على خشبة المسرح عام ١٩٤٧، وتبرز مسرحيات سليمان صائغ كسائر المسرحيات التاريخية الفواجع التي تنتاب العظماء والمصائب التي تحل بهم كمأساة (يوسف الصديق) في مسرحية مشاهد الفضيلة، والمصير المؤلم التي تلقته الزباء ملكة تدمر، وماساة ناصر الدولة الحمداني الذي تآمر عليه أولاده، والنهاية المؤلمة لشميرام (يمامة نينوى) التي قتلت نفسها بعد أن دست السم لزوجها ظناً منها انه يخونها.

وجاء اهتمام سليمان صائغ بالرجال العظام لان حياتهم واخلاقهم توفر الجو لاندلاع الاهواء الكبرى وبالتالي للعمل المسرحي الجيد. وعمله المسرحي اخلاقي يترك أثره في النفس، تنفعل به وتتطهر من اهوائها حيث يغفر يوسف لاخوته، وتموت الزباء مسيحية (كما يوكد بارونيوس المؤرخ الكنسي)، وينقذ حمدان والده ناصر الدولة وخادمة الامين (حنانا) وتقتل سميراميس نفسها بعد أن تكتشف خطأها وقد اضاف الصائغ القيم الاخلاقية المستوحاة من تاريخ العرب وعاداتهم في العصور التي وقعت فيها احداث مسرحياته، إلى جانب مثل اخلاقية استمدها من عصره، فتوفرت لديه مجالات خصبة فنية في الخلق والموضوع والشخصيات والتحليل.

عراقيون
من زمن التوهج